الرابطة

السنة ٥٣ العدد ٦٠٧ شعبان ١٤٣٨هـ - مايو ٢٠١٧م

مؤتمر «التنوع والتعايش» بجنوب إفريقيا

انطلاقة مركز الملك سلمان للسلام العالمي

ماليزيا تمنح العيسى أعلى أوسمة التقدير والشرف الملكية

الرابطة شهرية - علمية - ثقافية - تصدرها رابطة العالم الإسلامي

السنة ٥٣ العدد ٦٠٧ - شعبان ١٤٣٨هـ - مايو ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

السعودية وماليزيا: شراكة لدعم السلام العالمي

شـــهدت زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك ســـلمان بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ إلى ماليزيا الإعلان عن إنشاء مركز عالمي للســـلام، يكون مقره ماليزيا، باسم مركز الملك سلمان للسلام العالمي. وقد شرع الجانبان السعودي والماليزي في التخطيط للمركز بتعاون وثيق بين مركز الحرب الفكرية بوزارة الدفاع بالمملكة العربية السعودية ومركز الأمن والدفاع بوزارة الدفاع الماليزية وجامعة العلوم الإسلامية الماليزية ورابطة العالم الإسلامي. وجاءت اجتماعات معالي وزير الدفاع الماليزي الســـيد هشام الدين بن حســـين عون ومعالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي والمشرف العام على مركز الحرب الفكرية الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في العاصمة الماليزية كوالالمبور لإكمال الترتيبات اللازمة لتنفيذ انطلاقة المركز.

ويعد البلدان: الســـعودية وماليزيا، نموذجين تاريخيين في بناء السلام، فمن مكة المكرمة شع نور السلام ليغمر الأرض كلها، وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة الحرمان الآمنان رمز الســـلام والأمن والطمأنينة. وتأسســـت المملكة العربية السعودية على السلام، فهي منذ نشأتها واحة للأمن والاستقرار وسط عواصف من الاضطراب الإقليمي والعالمي.

أما ماليزيا فيكفيها أنها صنعت وحدة وطنية في بلد خرج من الاستعمار بأديان وقوميات ولغات متباينة، وعلى الرغم من ذلك استطاعت أن تخلق من هذا التنوع قوة وازدهاراً.

وما تحقق في البلدين من نجاح مشـــهود في حفظ السلام الوطني، يعدُّ ضمانة لمساهمتهما الفاعلة في دعم السلام العالمي والتعاون المثمر من خلال المنظمات الإقليمية والدولية.

إننا نتطلع بثقة إلى قدرة الجانبين الســـعودي والماليزي على تأســـيس شـــراكة ناجحة تتمثل في مركز الملك سلمان للســـلام العالمي. فقد برزت إرادة البلدين في التوافق على رؤية وأهداف مشتركة، والتعاون بينهما على أن تقوم رابطة العالم الإســـلامي بدعم المســـار العلمي والفكري والبحثي للمركز مع دعمه بالكفـــاءات العلمية لتضاف إلى الخبرة العســـكرية في بُعدها الاســـتطلاعي والفكري. وأكد الجانبان على أن المركز سيختص بإرساء قيم السلام والتسامح وترسيخ مفهوم الوسطية والاعتدال، وتكوين وتعزيز الصورة الذهنية الإيجابية عن الإسلام، وإيضاح حقيقة الشبهات الســـلبية المثارة عليه، مع تعميق الوعي الديني لدى المســـلمين، والتصدي لأيديولوجيـــة التطرف والإرهاب، وأن المركز سيكون له نشاط عالمي لترسيخ مفاهيم السلام.

ومما يدفع إلى التفاؤل بنجاح هذه الشراكة أن البلدين ينطلقان من أساس ديني مشترك يُعلي من شأن السلام ويجعله من مبادئه الكبرى. ومن هذا المبدأ، تتفرع مفاهيم راســـخة تتعلق بحفظ الســـلام، وعـــدم مقابلة العدوان بالعدوان، والصفح عن المعتدي لتجنب تصعيد الخطر بالرد عليه، وكسب قلبه لخطة السلام.

ومن مفاهيم السلام الدعوة إلى الحد من التسلح لأن انتشار السلاح يغري باستخدامه وينذر بأخطارٍ كثيرة، ولاسيما تلك الأسلحة شديدة الفتك التي تُسمى أسلحة الدمار الشامل.

وفي ذروة هذه المفاهيم: الدعوة إلى الســـلام وحض الناس على التمســـك به. وفي هذا المجال يُنتظر أن يكون لمركز الملك سلمان للسلام العالمي إسهام كبير في نشر ثقافة السلام بين الأنام.

الرابطة

شهرية - علمية - ثقافية

معالي الأمين العام

أ.د. محمد بن عبد الكريم العيسى

المشرف العام على المهام الإعلامية

أ. عادل بن زامل الحربي

مدير إدارة الشؤون الإعلامية

محمد بن بكر حمدي

رئيس التحرير

د. عثمان أبوزيد عثمان

مدير التحرير

شاكر بن صلاح العدواني

المراسلات: مجلة الرابطة ص.ب ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٣٨٧

فاكس: ٠٠٩٦٦١٢٥٣٠٩٤٨٩

المراسلات على عنوان المجلة باسم رئيس التحرير

البريد الإلكتروني: rabitamag@gmail.com

الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة «الرابطة» لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاطلاع على النسخة الإلكترونية للمجلة الرجاء زيارة موقع الرابطة على الإنترنت www.themwl.org

أخبار العالم الإسلامي www.mwl-news.net

طبعت بمطابع تعليم الطباعة

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٣٤٣ – ردمد: ١٦٩٥–١٦٥٨

رابطة العالم الإسلامي تنظم مؤتمر "التنوع والتعايش" في جنوب إفريقيا بحضور علماء ومفكرين ورجال دين وممثلي منظمات دولية

ديربن - جنوب إفريقيا:

طالب معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى العلماء والمفكرين بمواجهة الخواض المشجعة على الكراهية، مشيراً إلى أن الشعوب الواعية وممثلي الأديان والعلماء والمفكرين ومؤسسات التعليم ومنصات التأثير؛ يجب أن يحاربوا ظاهرة الكراهية التي سببت الكثير من المآسي وأوقدت الكثير من الحروب.

المحتويات

ماليزيا تمنح د.العيسى أعلى أوسمة التقدير والشرف الملكية بلقب: "داتو سري".. ٤

شريكا التأسيس (الدفاع الماليزية) و(رابطة العالم الإسلامي) يعقدان الاجتماع التحضيري لانطلاقة مركز الملك سلمان للسلام العالمي ٧

رابطة العالم الإسلامي تنظم مؤتمر "التنوع والتعايش" بديربن ٨

الأمين العام يزور جمعية العلماء وأكاديميات إسلامية وثقافية في جنوب إفريقيا ١٢

رئيس جنوب إفريقيا يستقبل الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ١٣

الرابطة تدين التفجيرين لكنيسة طنطا والكنيسة المرقسية بالإسكندرية ١٤

لقاء مع عميد المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية ١٨

١٠ أيام في ضيافة خادم الحرمين الشريفين ٢٢

مركز الملك سلمان للسلام العالمي سيصبح مرجعاً إقليمياً وعالمياً ٢٦

قرار المحكمة الأوروبية بمنع الرموز الدينية في مكان العمل ٢٨

المحتويات

العدد: ٦٠٧
شعبان ١٤٣٨ هـ - مايو ٢٠١٧ م

حتى يكون الشباب طاقة بناء لا قوة هدم

حذر تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ٢٠١٦، من تحول طاقة الشباب العربي من طاقة هائلة للبناء إلى قوة كاسحة للهدم. ووصف التقرير جيل شباب اليوم بأنهم أكثر تعليماً ونشاطاً وارتباطاً بالعالم الخارجي، ما ينعكس على مستوى وعيهم بواقعهم وتطلعاتهم لمستقبل أفضل. إلا أنّ وعي الشباب بقدراتهم وحقوقهم يصطدم بواقع يُهمِّشهم ويَسدّ في أوجُههم قنوات التعبير عن الرأي، والمشاركة الفاعلة، وكسْب العيش؛ ما قد يتسبَّب في دفعهم إلى التحول من طاقة بناء وإعمار إلى قوة هدم ودمار.

المؤتمرون يعتمدون كلمة الأمين العام للرابطة «وثيقة مهمة للعمل بها»

مسابقة قرآنية في أمريكا الجنوبية

جدة:

نظمت رابطة العالم الإسلامي عبر الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم بالتعاون مع اتحاد مسلمي برادوس بأمريكا الجنوبية، مسابقة قرآنية، شارك فيها ٢٢ طالباً. وأوضح الأمين العام للهيئة الدكتور عبدالله بصفر، أنه تنفيذاً لتوجيه معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، أقامت الهيئة مسابقة برادوس بأمريكا الجنوبية المكونة من خمسة فروع هي حفظ القرآن كاملاً، و١٥ جزءاً و١٠ و٥ أجزاء، وجزء عم، وذلك بإشراف لجنة تحكيم من خمسة أعضاء.

وأشار الدكتور بصفر إلى أنه أقيم احتفال تكريمي للمتسابقين حضره الدكتور عبدول محمد رئيس اتحاد المسلمين في برادوس، والسيد سليمان بلبلية أمين سر منظمة اتحاد المسلمين، وعدد من المفكرين والعلماء والدعاة، وجانب من أولياء أمور الطلاب، حيث أشادوا بحكومة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز لدعمهما في تعليم ونشر كتاب الله عز وجل على كافة أبناء الأمة الإسلامية في جميع أنحاء العالم، وأثنوا على بجهود رابطة العالم الإسلامي والهيئة العالمية في خدمة القرآن الكريم ورعاية حفظته على مستوى العالم.

المسلمون في الإقليم الكندي كيوبيك ٣٤
حاجة الدعاة إلى منهجية البحث الميداني ٣٧
إضاءات حول التراث البيئي العربي - الإسلامي ٤٠
قوافل الحج القديمة ومنافعها (٢-٢) ٤٤
من معالم التجديد في الدراسات القرآنية ٤٦
علماء أعلام من الصين في خدمة الإسلام (٣/٣) ٤٩
إلى أين تقودنا السلوكيات الدوائية الخاطئة؟ ٥١
معالم مسجد تشيرمان ٥٥
أطفالنا ومشاهد الحروب من منظور نفسي ٥٧
حتى يكون الشباب طاقة بناء لا قوة هدم ٦٠
حول بيان الإشادة بمشروع القانون الكندي ٦٤

تقديراً لجهوده في نشر الوسطية حول العالم

ماليزيا تمنح د.العيسى أعلى أوسمة التقدير والشرف الملكية بلقب: «داتو سري»

كوالالمبور:

منحت ملكة ماليزيا معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية أعلى أوسمتها وهو وسام الشرف الملكي المسمى (فارس الدولة)، بأعلى لقب يمنح لكبار الشخصيات التي قامت بجهود تاريخية تستحق تقدير ملكة ماليزيا وهو لقب (داتو سري)، الذي يضفي على حامله التقدير الاستثنائي والحصانة الكاملة داخل الأراضي الماليزية مدى الحياة.

ويحمل هذا التكريم الشعور الماليزي الرسمي نحو علماء المملكة العربية السعودية، ولاسيما أن ماليزيا تعد في طلائع الدول الإسلامية في تطبيق قيم الوسطية والوئام والتعايش والتحضر.

جاء ذلك بحسب المبررات التي أعطيت للشخصية المكرمة د.العيسى أثناء التكريم وهي تقدير جهوده في نشر الوسطية والتسامح الديني والحث على التعايش بين الأديان والثقافات ومحاربة التطرف والكراهية، حيث كان لإسهامات د. العيسى العالمية باسم الشعوب الإسلامية التي يقود العيسى حالياً رابطتها أثر واضح على سمعة أتباع الدين الإسلامي من المعتدلين، حيث استطلعت ماليزيا تلك الجهود في الداخل

• حاضر في جامعة العلوم ومعهد الوسطية بمجلس الوزراء الماليزي

الإسلامي وخارجه وتفاعل الإعلام الإسلامي والأجنبي معها.

وعلق د. العيسى للإعلام الماليزي بأن تكريمه في ماليزيا تقدير للاعتدال الشرعي والفكري الذي تعلمناه ونشأنا عليه في المملكة العربية السعودية.

وقد جاءت زيارة د. العيسى لماليزيا بدعوة رسمية ليكون ضيفاً على الحكومة الماليزية، التقى خلالها دولة رئيس مجلس الوزراء الماليزي السيد نجيب عبد الرازق، ومعالي نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية الدكتور أحمد زاهد حميدي، ومعالي وزير الدفاع الماليزي ووزير الشؤون الخاصة بمجلس الوزراء السيد هشام الدين حسين، والذي عقد مع د. العيسى مؤتمراً صحفياً حول انطلاقة مركز الملك سلمان للسلام العالمي في نطاق شراكة الرابطة ومركز الحرب الفكرية بوزارة الدفاع في المملكة في تأسيسه بحسب الإعلان الصادر عن المملكة العربية السعودية وماليزيا إبان زيارة خادم الحرمين الشريفين ـ يحفظه الله ـ لماليزيا، حيث يعمل د. العيسى مشرفاً عاماً على مركز الحرب الفكرية.

كما التقى د.العيسى أثناء زيارته لماليزيا دولة السيد عبد الله بدوي رئيس الوزراء الماليزي السابق، ومعالي الوزير بمجلس الوزراء

• د. العيسى للإعلام الماليزي: تكريمنا في ماليزيا تقدير للاعتدال الشرعي والفكري الذي تعلمناه ونشأنا عليه في المملكة

مسؤول الشؤون الدينية السيد جميل خير بهروم، ومعالي الوزير بمجلس الوزراء الدكتور السيناتور أشرف وجدي، ومعالي وزير التعليم العالي الماليزي إدريس جوسوه، ومعالي رئيس مجلس الشيوخ الماليزي السيناتور إس إي فينغسوان الذي عقد مع معاليه بحضور أعضاء مجلس الشيوخ جلسة مباحثات ورحب به داخل القاعة الرئيسية، ووصف الزيارة بالتاريخية مؤكداً أن الإسلام يضطلع بدور مهم في حل المشكلات التي تواجه المجتمعات، ووجه شكره لخادم الحرمين الشريفين على إنشاء مركز الملك سلمان للسلام العالمي، واصفاً ذلك بأنه يعبر عن حجم التقارب والتوافق بين المملكة وماليزيا موضحاً بأن ماليزيا تقف كتفاً بكتف إلى جوار المملكة العربية السعودية ورابطة العالم الإسلامي في كل مساعيهم الخيرة.

كما تمت دعوة د. العيسى لإلقاء محاضرة عن الوسطية في معهد الوسطية التابع لمجلس الوزراء الماليزي والذي وصف معاليه في نص التعريف بالمحاضر الذي وزعه على المدعوين بأن: «الشيخ العيسى تعتبره ماليزيا عبر معهد وسطيتها من أهم علماء الأمة وأنه دعي للمحاضرة من أجل تعزيز منهج الاعتدال والوسطية في ربوع المجتمع الماليزي لترسيخ المزيد من قيم التعايش والتسامح بين جميع طوائفه»، وتكمن أهمية المعهد في أنه يتبع دولة رئيس مجلس الوزراء مباشرة.

وقد أوضح معاليه في المحاضرة أن التاريخ الإنساني مليء بالعظات والعبر لنتائج الصدام السلبي لأسباب دينية أو عرقية أو ثقافية، وأن وقائع الماضي يجب نسيانها والأمة الحكيمة تعمل لمستقبلها ولا تلتفت وراءها، وأن التخلف يكمن في الصدام على حساب ذلك كله، ومن أجل هذا كان من أعظم قواعد الشريعة الإسلامية قواعد الأولويات والترتيب بين المصالح والمفاسد، وليست هذه هي البراغماتية السلبية كما يتصور البعض، بل هي انسياق وراء المصلحة الأخلاقية بعكس تلك البراغماتية التي لا تُعير للأخلاق قيمة في سبيل تحقيق مصلحتها المادية.

وقال د.العيسى في محاضرته: الوئام الوطني الذي تجاوزت به ماليزيا ماضي إثنيتها دخل تاريخها وترجم مستوى تحول وعيها وقفز بها عالمياً، فيما تعاني دول أخرى من سلبيات هذا التخلف على كافة حسابات مصلحتها الوطنية.

وتابع: أفضل أساليب الدعوة تأثيراً هو سلوكنا الحضاري الحاضن والمؤثر فالأولى بنا أن نجعل من سلوكنا أنموذجاً للسلم والتعايش والتعاون والمحبة، وأنه ما دخل الناس أو على الأقل احترموا دين الإسلام إلا بدلالة قول الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك»، وختم أمين الرابطة محاضرته بالتأكيد على أن المسلمين يتحملون سمعة دينهم وعليهم مواجهة كل جاهل بالحق الذي معهم وبسلوكهم الحضاري.

كما استضافت جامعة العلوم د. العيسى ليلقي كلمة الافتتاح في مؤتمرها العالمي عن فقه المواطنة والتعايش والتسامح، حيث أوضح أن السياسة الشرعية في الشريعة الإسلامية تتطلب من المسلمين أن يكونوا على وعي تام بهذا الفقه ، والذي يمكن أن نسميه بالفقه الغائب عن وعي عدد منهم، مؤكداً في كلمته أهمية أن تكون تلك القيم منهجاً ملازماً للوعي والسلوك لا مجرد نظريات تطرح أو منهج مدرسي تقضي به حاجة تجاوز نسبة النجاح دون أن يلامس الوجدان والوعي ودون أن يترجم سلوكاً، وقال د. العيسى: إن المعلم الكفء يساوي المنهج بعشرة أضعافه، وإن المنهج وحده دون المعلم الكفء لا قيمة له، فلا منهج دون معلم كفء، وربما أسعف المعلم دون منهج بإشاراته التربوية في مضامين دروسه، والمعلم الكفء يسدد ويكمل نقص المنهج أو ضعفه والعكس صحيح.

شريكا التأسيس (الدفاع الماليزية) و(رابطة العالم الإسلامي) يعقدان الاجتماع التحضيري لانطلاقة مركز الملك سلمان للسلام العالمي

المركز يختص بنشر قيم السلام ... وتعزيز الصورة الإيجابية عن الإسلام

كوالالمبور:

عقد معالي وزير الدفاع الماليزي السيد هشام الدين بن حسين عون ومعالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي والمشرف العام على مركز الحرب الفكرية الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في العاصمة الماليزية كوالالمبور مؤتمراً صحفياً، وذلك في إطار ما أعلنت عنه المملكة العربية السعودية وماليزيا من إنشاء مركز عالمي للسلام يكون مقره ماليزيا باسم مركز الملك سلمان للسلام العالمي، وذلك بالتعاون بين كل من مركز الحرب الفكرية بوزارة الدفاع بالمملكة العربية السعودية ومركز الأمن والدفاع بوزارة الدفاع الماليزية وجامعة العلوم الإسلامية الماليزية ورابطة العالم الإسلامي على أن تنسق هذه الجهات فيما بينها لإكمال الترتيبات اللازمة لتنفيذ انطلاقة المركز خلال تسعين يوما من تاريخ إعلانه.

وأكد الجانبان خلال المؤتمر الصحفي في سياق تنسيقهما كشريكي تأسيس للمركز على انطلاقته قريباً حسب ما اتجهت إليه إرادة البلدين في الإعلان عن إنشائه، مشيرين إلى التوافق حيال رؤية ورسالة وقيم وأهداف المركز على ضوء أهداف البلدين من إنشائه، وأن تقوم رابطة العالم الإسلامي بدعم المسار العلمي والفكري والبحثي للمركز مع دعمه بالكفاءات العلمية لتضاف إلى الخبرة العسكرية في بُعدها الاستطلاعي والفكري، مؤكدين أن المركز سيختص بإرساء قيم السلام والتسامح وترسيخ مفهوم الوسطية والاعتدال، وتكوين وتعزيز الصورة الذهنية الإيجابية عن الإسلام، وإيضاح حقيقة الشبهات السلبية المثارة عليه، مع تعميق الوعي الديني لدى المسلمين، والتصدي لأيديولوجية التطرف والإرهاب، وأن المركز سيكون له نشاط عالمي لترسيخ مفاهيم السلام .

وسيتم نشر المعلومات الأكثر تفصيلاً عن المركز بعد إقرارها من قبل البلدين، والعنصر الأهم هو تبيان المعالم الرئيسية للمركز من خلال جلية هويته بإيضاح رؤيته ورسالته.

وقد احتفى الإعلام الماليزي بالخطوات الحثيثة والجادة لإطلاق المركز، مشيراً إلى التوافق حول مرتكزات انطلاقته، وأن توافق الدولتين حول المركز يترجم عمق العلاقات بينهما ونبل الأهداف الإسلامية والإنسانية، وأن ماليزيا وهي بلد الوئام الوطني وبلد الوسطية والتسامح والاعتدال تمثل خياراً مهماً لدى المملكة ينسجم مع المنهج المعتدل والمتوازن للمملكة .

رابطة العالم الإسلامي تنظم مؤتمر «التنوع والتعايش» بديربن بحضور علماء ومفكرين ورجال دين وممثلي منظمات دولية

- **أمين الرابطة: «الكراهية» تدعم نظريات الإرهاب وتزيد في أتباعه ولا بد من مواجهتها ليعيش العالم بسلام**

- **د.العيسى للمؤتمرين: علينا مسؤولية نشر السلام بمواجهة مخاطر الصراع الديني والفكري والصدام الحضاري**

ديربن ـ جنوب إفريقيا

طالب معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى العلماء والمفكرين بمواجهة الحواضن المشجعة على الكراهية، مشيراً إلى أن الشعوب الواعية وممثلي الأديان والعلماء والمفكرين ومؤسسات التعليم ومنصات التأثير؛ يجب أن يحاربوا ظاهرة الكراهية التي سببت الكثير من المآسي وأوقدت الكثير من الحروب.

جاء ذلك في كلمة معاليه في المؤتمر العالمي عن «التعايش الاجتماعي وتنوع الديانات» الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي في مدينة ديربن بجنوب إفريقيا، بحضور شخصيات حكومية وأهلية ودينية وفكرية وثقافية، كما حضره محلياً السيد إدوارد زوما نجل رئيس جمهورية جنوب إفريقيا، والقس سيبو متيتو

رئيس إدارة شـــؤون الأديان في مجلس وزراء إقليـــم كوازولو ممثلاً رسمياً عن رئيس الوزراء، والســـيدة فوزية بير رئيس بلدية مدينة ديربن، والســـيد إمبانزا رئيس القساوســـة في كنيسة نازاريت، وعـــدد من رجال الديانة اليهودية يتقدمهـــم رابي هيليل أفيدان، وجمع غفير من العلماء والمفكريـــن ورجال الدين وممثلي عدد من المنظمات الدولية.

وقال معالي أمين رابطة العالم الإسلامي في كلمته إن التطرف اســـتفاد من ظاهـــرة الكراهية لأنها دعمـــت نظرياته وزادت من أتباعه؛ حيث يقوم الإرهاب على أســـاس أن الآخر يكرهنا ويحاربنا وعندما يكون هذا واقعا فإنـــه يصدق نظرية الإرهاب، لذلك لا بد من مواجهة الكراهية بعزيمـــة قوية ووعي كامل بمخاطرها حتى نعيش بسلام.

وأضـــاف أن التعايش الإنســـاني ضرورة حتمية لا بـــد للعقلاء أن يوحدوا الجهود لتحقيقه، مشيراً إلى أن هذا المؤتمر بحضوره المتنوع عنوانه المحبة ورابطته التلاقي الإنســـاني في هذه المدينة الجميلة في جمهوريـــة جنوب إفريقيـــا التي ازدادت جمالا بتســـامحها وتعايشـــها مع مختلف الأديان والطوائف والأفكار، حيث التقينا في هذه الجمهورية المنفتحة على الجميع مع عدد من المســـلمين فيها وأثلجوا صدورنا بالحرية الدينية المتاحة لجاليتهم الإسلامية القليلة بالنســـبة لعدد الســـكان لكنهم يعيشون مع الجميع بسلام ومحبة ووئام، وقد مثل المسلمون في جنوب إفريقيا نموذجاً رائعاً لتطبيق تعاليم الإســـلام وحسن التواصل مع الجميع، حيث مثلوا المعنـــى الرائع لمفهوم المواطنة كما بادلهم مواطنوهم من مختلف الأديان نفس المشـــاعر، يعكس ذلـــك كله بالدليل الماثل أمامنا حالياً في هذا المؤتمر، حيث وجدنا الاســـتجابة الســـريعة لدعوة رابطة العالم الإسلامي لمختلف قيادات الأديان في هذا البلد المتسامح والمتعايش فأكرمونا بهذا الحضور الكبير.

وزاد معاليه: أن حتمية التعايش الإنســـاني لم يستوعبها الكثير بالرغم من عظة التاريخ ومآســـيه، حيث إن الصراع الإنســـاني يقوم معظمه على صراع الأفـــكار كما يقوم أيضاً على المطامع السياسية التي وظفت الأديان غطاء لمصالحها المادية.

وأوضح معاليه أن مخالفة حتمية التعايش أنتجت صراع وصدام الحضـــارات الذي خلف الكثير من المآســـي والحـــروب، لافتاً إلى أن من أســـباب هذا الصراع تقصيـــر دور التعليم عن اتخاذ خطوات إيجابية نحو تحفيز التفكير في عقول الأجيال بعيداً عن البرمجة والتلقين، يجـــب أن نعلمهم كيف يفكرون وكيف يختارون بعيداً عن البرمجة الســـلبية التي تصبح أداة سهلة لأي توظيف يدار عـــن طريق تكثيف التأثير أو إثـــارة العواطف أو الإيحاء عن طريق ما يسمى بالعقل الجمعي ومن هنا يتم خلق الكراهية وسلبيات

الصراع الدينـــي والفكري والحضاري وينشـــأ عن ذلـــك الصدام والتشدد والتطرف والكل فيها خاسر.

وأشار معاليه أيضاً إلى أن من أســـباب الصراع مقاومة التغيير، موضحاً أنه عندما يكون الإنســـان على سلوك معين أو رأي معين فإنه يحتاج إلى تعليم وبيئة ناضجة وواعية حتى لا يكون رافضاً لأي فكـــرة أو رأي إيجابي لمجرد أنه يختلف مـــع ثقافته، فالانفتاح على الآخرين ودراسة ما لديهم من الأفكار والآراء يعكس مستوى الوعي وسلامة البيئة التعليمية.

كما أفاد معاليه أن الانغلاق الفكري والتقوقع في الدائرة الضيقة وعدم الانفتاح على الآخرين من الأسباب الرئيسة للصراع، مؤكداً على أنـــه لا بد أن نقرأ أفكار الآخرين وأن نحســـن الظن بهم وأن نحبهم من منطلق محبة الخير لهـــم، وأن نتداول الأفكار والآراء

> •د. العيسى: التسليم الإيجابي بالفروق الطبيعية بين الحضارات يُفضي إلى الإيمان بسنة الخالق في الاختلاف والتنوع

ونتهـــم آراءنا وأفكارنا قبل أن نتهم غيرنا ، حيث لا يوجد منا أحد معصوم عن الخطأ، والصواب يُشـــع لكل محايـــد بدليله المادي المقنع.

وقـــال: نعم لا بد لنا جميعاً من أن نقـــرأ أفكار الآخرين بتجرد وألا يحجبنـــا عن الحق كراهية ولا تعصـــب ولا مطامع مادية، لا بد أن نُعلم الناس ذلك وخاصة الشـــباب، ولكم أن تعجبوا إذا قلت إن بعض السياســـيين أولى بهذه الدروس من غيرهم... وأيضاً نُعلم

• الانكفاء في دائرة الانغلاق الديني والفكري خلق الكراهية وأنتج التطرف والتطرف المضاد

الجميع كذلك أن القناعات لا يمكن فرضها وإنما يمكن التقارب حولها بالحوار للإقناع بها أو تفهمها أو التعاون على مشتركاتها وغاياتها الإنسانية.

وأضاف: الانكفاء في دائرة الانغلاق الديني والفكري خلق الكراهية وأنتج التطرف والتطرف المضاد، وأن المنطق البراغماتي بمفهومه السلبي له دور كبير في تجاوز المنطق العقلاني والأخلاقي وبالتالي الحق الإنساني.

وطالب معاليه بمواجهة نزعة الشر الموجودة لدى بعض البشر والتي لم تهذبها القيم الدينية والمسؤولية الأكبر على البيئة المنزلية والمناهج التربوية في مؤسسات التعليم التي من الواجب عليها أن تكون في الخط الأول لمواجهة هذه النزعة المتوحشة في بعض النفوس البشرية، مضيفاً أن الله تعالى أرسل الرسل والأنبياء لمقاومة هذه النزعة وإصلاح البشرية، حيث قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وهذا النص وغيره يشير إلى أن رسالة الإسلام مكملة لثوابت دينية وقيم أخلاقية سابقة.

ولفت معاليه النظر إلى أن من أسباب الصراع أن البعض لم يستوعبوا سنة الخالق في وجود الاختلاف والتنوع والتعددية، موضحاً أن هذه السنة الكونية يجب أن نعيها جيداً ونستفيد منها وألا تحول بيننا وبين التعاون والتعايش والتسامح والمحبة.

وزاد معاليه أن الإسلام دين حاضن للجميع ويتجاوز الخصومات ويحترم الجميع، وأن نصوص الإسلام تدعو للمحاورة والسلم والمصالحة وتؤكد على أن الاختلاف من طبيعة البشر ومن طبيعة هذا الكون حيث لا يمكن أن يكون الناس كلهم على طريقة واحدة ورأي واحد.

وأفاد أن الإسلام يؤكد أن القناعات والآراء والأديان والمذاهب لا يمكن فرضها بالقوة وإنما بالحوار حولها إما للإقناع بها أو تفهمها أو العمل والتعاون على مشتركاتها وغاياتها الإنسانية، مشيراً إلى أن الإسلام يؤكد على ضرورة الأخذ بقيم التسامح والتعايش واحترام حقوق الإنسان في كل ما يشمله مفهوم الكرامة الإنسانية، ومن أشهر النصوص الإسلامية قول الله تعالى: «ولقد كرمنا بني آدم» كما ورد في القرآن الكريم.

• القناعات لا تفرض وإنما يمكن التقارب حولها بالحوار للإقناع بها أو تفهمها أو التعاون على مشتركاتها وغاياتها الإنسانية

• جنوب إفريقيا حولت الاضطهاد العنصري إلى دروس تاريخية في التعايش الوطني والتسامح الديني

وأضاف: أن نصوص الدين الإسلامي أكدت على هذا المعنى الثابت والمهم وحذرت من أن يكون الاختلاف مع الآخر سبباً للخروج عن هذه القيم، مؤكداً أن الإسلام جاء باعتباره ديناً سماوياً رحمة للناس، حيث يقول الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

وحيث قلنا سابقاً بأن الإسلام جاء لتعزيز قيم أخلاقية وثوابت دينية سابقة فإنه مع ذلك جاء بتشريعات جديدة مكملة تتميز عن غيرها بأنها أقرب للمرونة لتنسجم مع المتغيرات وتحولات الزمان والمكان والأحوال لكون الإسلام خاتماً للأديان السماوية، كما اعتبر الإسلام أن خير الناس أنفعهم للناس وكلمة (الناس) هنا تشمل جميع بني البشر فربط الإسلام الخيرية بنفع البشرية.

وأضاف د.العيسى أن هذا اللقاء المتنوع والمتعدد يأتي ضمن منظومة التنوع والتسامح والانفتاح الأجمل في جمهورية جنوب إفريقيا؛ التي حولت الاضطهاد العنصري إلى دروس تاريخية استفاد منها الجميع في التعايش الوطني والتسامح الديني، مؤكداً أن على الجميع مسؤولية إنقاذ العالم من الصراع والصدام، وأن نحترم الآراء ونتفهمها، وأن نكون عوناً للبشرية أجمع على أن تعيش بسلام.

وختم معاليه بالتأكيد على أن رابطة العالم الإسلامي مهمتها هي تعزيز وترسيخ هذه القيم التي تحدثنا عنها في هذا المؤتمر والعمل جاهدة لتحقيقها.

من جهة أخرى وضمن زيارة معالي أمين عام رابطة العالم الإسلامي لجنوب إفريقيا، قام معاليه يرافقه السيد إدوارد زوما نجل رئيس جمهورية جنوب إفريقيا؛ بوضع حجر الأساس لتوسعة مستوصف هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التابعة لرابطة العالم الإسلامي للعيون بمدينة ديربن، ووضع حجر الأساس لبناء مدرسة بديربن، وافتتح مشروع حفر بعض الآبار في قرية إينانداً بمقاطعة كوازولو نا تال بجنوب إفريقيا.

كما قام معاليه بزيارة لمركز النور للمكفوفين في ديربن، ومركز أبي الدرداء الإسلامي؛ حيث التقى المسؤولين فيهما وأساتذتهما وطلابهما واستمع إلى شرح موسع عن كل مركز وخططه المستقبلية، وألقى على الجميع كلمات توعوية وإرشادية.

• يجب أن نغرس المحبة والتجرد في الأجيال ونعلمهم كيف يفكرون وكيف يختارون بعيداً عن البرمجة السلبية

خلال زيارته لجنوب إفريقيا.. الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي يزور جمعية العلماء وأكاديميات إسلامية وثقافية

• مدير جامعة دار العلوم: للرابطة دور كبير في العناية بمد جسور التعاون بين الشعوب والجاليات المسلمة

جوهانسبورغ:

قام معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى خلال زيارته لجمهورية جنوب إفريقيا بزيارة جامعة دار العلوم الإسلامية في جوهانسبورغ، حيث كان في استقبال معاليه رئيس الجامعة الشيخ شبير أحمد الصالوجي وعدد من مسؤولي الجامعة وأعضاء هيئة التدريس فيها.

وفي بداية الزيارة اطلع معاليه على عدد من مرافق الجامعة التي تأسست عام ١٤٠٤هـ. ثم شرف الحفل الخطابي المعد بهذه المناسبة؛ حيث رحب رئيس الجامعة في كلمته بمعالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى والوفد المرافق، مثنياً على «رابطة العالم الإسلامي التي لها دور كبير في العناية بالدعوة الإسلامية ومد جسور التعاون بين الشعوب والجاليات المسلمة وتنسيق الجهود في مجالات التعريف بالإسلام والتصدي لمحاولات التشويه لصورته والعمل على إيقاظ الوعي الإسلامي وبذل الجهود للقضاء على عوامل النزاع والشقاق».

وأضاف مدير الجامعة أن العالم الإسلامي يتطلع دوماً إلى المملكة العربية السعودية ككيان سياسي إسلامي له ثقله وتأثيره الكبير، كما ينظر إلى هذا الحراك لرابطة العالم الإسلامي بأمل كبير، فهي أوسع منصة تجمع مختلف شرائح الأمة وطوائفها من غير تفريق ولا تصنيف ولا إقصاء، وقادرة على أن تبادر في هذا وتؤلف الجميع على وعي وحكمة، مؤكداً أن المملكة لعبت دوراً رياديا في كثير من القضايا الإسلامية على المنصة العالمية، وكان لصوتها تأثير ومفعول كبير في مجريات الأحداث وفض خلافات عالقة وما زالت آمال الجميع معلقة بها فهي صوت الاعتدال والحكمة.

وحمل فضيلة الشيخ شبير الصالوجي في نهاية كلمته معالي الأمين العام نقل مشاعر الحب والتقدير والشكر الجزيل والامتنان العميق لخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز ـ حفظه الله ـ حاضن الوعي الإسلامي في أسمى صور الوسطية والاعتدال ومواجهة التطرف والإرهاب عسكرياً وفكرياً.

من جهته عبر معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى خلال كلمته في الحفل عن شكره وتقديره للمشاعر الصادقة التي وجدها من مدير الجامعة وأعضاء هيئة التدريس في الجامعة، مشيراً إلى أن الرابطة يسعدها التعاون مع الجامعة

والتواصل مع مسؤوليها، مؤكداً معاليه أهمية الوعي بمقاصد الشريعة الإسلامية، وأنه لا يكفي في هذا تحصيل العلم المجرد بل لا بد من الفهم والفقه الصحيح ، فهناك عالم وحامل علم وفقيه وحامل فقه، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «رحم الله امرءاً سمع منا مقالة فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع»، مشيراً إلى أن الإسلام دين الرحمة بالعالمين ودين التيسير لا التعسير والتبشير لا التنفير ودين التسامح والتعايش، وأنه بهذه القيم العالية بلغ ما بلغ من الانتشار والعالمية.

وزاد معاليه: إن الشريعة الإسلامية توازن بين المصالح والمفاسد وترجح بينها، والعالم والداعية البصير يقدر ذلك كله، كما يقدر أن شريعة الإسلام مرنة في المتغيرات، وأننا جميعاً مالم نستوعب القلوب ويحظى وجودنا الإسلامي بالاحترام والترحيب بل والإحساس بإضافته المهمة، فيجب أن نبحث عن الأسباب في سلوكنا وأساليبنا قبل أي شيء آخر، ونعلم أن الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم دخلوا في دين الله أفواجاً كما في الآية الكريمة وذلك في ثلاث وعشرين سنة تمثل سنوات البعثة النبوية وهي قليلة جداً في معايير الدورات الزمنية للحصول على التغيير والتحول الكبير، ومع ذلك تغير وتحول أناس ليسوا كغيرهم، حيث كانوا أكثر الناس عناداً وجدالاً وعصبية، والسبب هو السلوك حيث يقول الله تعالى «وإنك لعلى خلق عظيم»، والأسلوب والمنهج المتمثل في قول الله تعالى «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك».

من جهة أخرى قام معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بزيارة لجمعية العلماء في مقرها بجوهانسبرغ واجتمع فيها برئيسها وأعضائها، حيث تطرق الحديث لعدد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك، خاصة رغبة الجمعية في التواصل المستمر مع رابطة العالم الإسلامي.

رئيس جنوب إفريقيا يستقبل الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

جوهانسبرغ:

استقبل فخامة رئيس جمهورية جنوب إفريقيا السيد جاكوب زوما معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، الذي قام بزيارة رسمية لجنوب إفريقيا استمرت أياماً عدة.

ورحب الرئيس الجنوب إفريقي في بداية الاستقبال بالأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، مشيدًا بالجهود التي تبذلها الرابطة لنشر الاعتدال والوسطية ومحاربة الأفكار المتطرفة.

من جهته، شكر الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الرئيس الجنوب إفريقي على حسن استقباله وما لقيه الوفد من حفاوة وتكريم، مؤكدًا استعداد الرابطة للتعاون مع الفعاليات الجنوب إفريقية الدينية والسياسية والفكرية والثقافية في تنظيم المؤتمرات والندوات والملتقيات والحوارات، وتكثيف الجهود للتصدي للأفكار المتطرفة.

وأشار معاليه إلى أن رابطة العالم الإسلامي، ومن خلال مجالسها وهيئاتها ومراكزها ومكاتبها حول العالم، تضع توعية المسلمين وتثقيفهم بالدين الإسلامي الصحيح بعيدًا عن أي مظهر من مظاهر التشدد والتطرف على رأس أولوياتها، مؤكداً على أهمية الاندماج الإيجابي للجاليات الإسلامية، وأن تكون إضافة مهمة للدول التي تستوطنها أو تقيم فيها، مشيداً بالنموذج الجنوب إفريقي المتميز في هذا بفعل الوعي المتبادل.

رابطة العالم الإسلامي تدين التفجيرين الإرهابيين اللذين استهدفا كنيسة طنطا والكنيسة المرقسية بالإسكندرية

د.العيسى: التفجيران الإرهابيان من أبشع المحاولات اليائسة للتأثير على الوجدان الوطني والضمير الإنساني الواعي

مكة المكرمة:

أدانت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي التفجيرين الإرهابيين اللذين استهدفا كلاً من كنيسة مارجرجس بمدينة طنطا عاصمة محافظة الغربية بجمهورية مصر، ومحيط الكنيسة المرقسية بمدينة الإسكندرية، وأسفرا عن سقوط عشرات القتلى والمصابين.

جاء ذلك في البيان الذي أصدره معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، والذي شدد فيه على موقف رابطة العالم الإسلامي من هذه الأعمال الإرهابية التي يجرمها الإسلام ويضعها في تصنيف أبشع الجرائم الإنسانية والمحاولات اليائسة بالتأثير على الوجدان الوطني والضمير الإنساني الواعي الذي يدرك أن هذه الأعمال البربرية لن تنال من قيمه الرفيعة التي تآلف وتحاب بها وتعاون وتعايش عليها.

وأضاف معاليه أن هذين التفجيرين الإرهابيين الأليمين تعرَّيا من كل المعاني والقيم، حيث استهدفا بوحشية أنفساً وأرواحاً بريئة.

وأوضح معاليه أن الهدف من هذه التفجيرات الإرهابية هو زعزعة الأمن والاستقرار في جمهورية مصر، وضرب اللحمة الوطنية، وإثارة الفتنة بين مجتمعها وأطيافها، الأمر الذي يتطلب تكاتف جميع مكونات الشعب لتفويت الفرصة على هؤلاء الإرهابيين والتصدي لإجرامهم.

وقال معاليه إن رابطة العالم الإسلامي تدعو في جميع محافلها الإقليمية والدولية إلى ضرورة توعية المجتمعات

رابطة العالم الإسلامي تدين جريمة النظام السوري في بلدة خان شيوخون

بمخاطر الإرهـــاب والتطرف والأفكار المنحرفة، مقدماً معاليه باســـم رابطة العالم الإسلامي التعازي للحكومة المصرية، ولأسر الضحايا سائلاً المولى عز وجل الشفاء العاجل للمصابين.

مكة المكرمة:

أدانـــت الأمانة العامة لرابطة العالم الإســـلامي، الهجوم الوحشـــي بالأســـلحة الكيميائية على بلدة خان شيوخون جنوب محافظة إدلب الســـورية، والذي أودى بحياة العشرات من المدنيين أغلبهم من الأطفال والنساء.

وقال البيـــان: إن هذا الهجوم البشـــع والمروع الذي قامـــت به عصابة الإجرام باســـتخدام الأسلحة الكيميائية المحرمة دولياً، يعد جريمة بحق الإنسانية.

وطالبـــت الأمانة العامة للرابطة مجلس الأمـــن الدولي بالقيام بدوره تجاه حماية المدنيين السوريين، واتخاذ إجراءات صارمة ضد كل من يقف خلف هذه الكارثة الإنسانية.

وأضاف البيان أن مثل هذه الجرائم البشعة، واستمرار استهداف الأبرياء المدنيين من الأطفال والنساء والشيوخ، يؤكدان من جديد على مستوى تمادي الوحشية لدى هذا النظام، وعدم كفاءته في إدارة الأزمة السورية، وإيجاد حل سياسي لها.

كما أشـــاد البيان بموقف الحكومات والمنظمات الدولية، التي استنكرت وأدانت هذا الجريمة البشعة التي ارتكبها النظام السوري بحق شعبه.

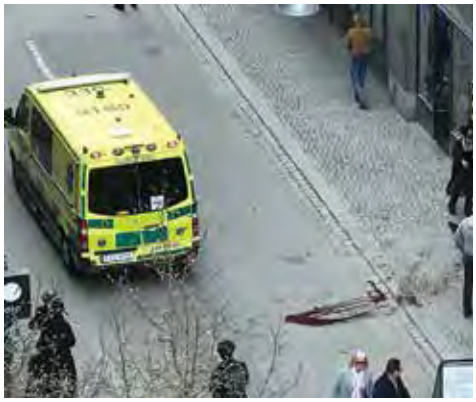

رابطة العالم الإسلامي تستنكر حادث الدهس الإرهابي في ستوكهولم

مكة المكرمة:

أدانت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة حادث الدهس الإرهابي الذي وقع في العاصمة السويدية ســـتوكهولم، وأدى إلى مقتل وإصابة عدد من الأشخاص.

جاء ذلك في البيان الذي أصدره معالي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى ، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، قال فيه:

إن رابطـــة العالـــم الإســـلامي تســـتنكر وتديـــن الحادث الإرهابي الـــذي وقع في مدينة ستوكهولم السويدية، وتؤكد على موقفها الثابـــت من الإرهـــاب وأهلـــه، وإن مثل هذه الأعمـــال الإرهابية التي تســـتهدف أناســـاً أبرياء وأنفســـاً معصومة وتسعى إلى زعزعة الأمـــن وبث الرعـــب في المجتمعـــات الآمنة لا تمت للإســـلام بصلة، وتتعارض مع كل القيم والمبادئ الإنســـانية والدولية، مقدماً معاليه التعازي لأســـر الضحايا ولحكومة وشـــعب السويد، متمنياً الشفاء العاجل للمصابين.

كمـــا دعت رابطـــة العالم الإســـلامي قادة العالم ومفكريـــه ومنظماته أن يقفوا صفا في مواجهة الإرهاب ومعالجة كل ما يســـبب أو يدعـــو إلى مثل هذه الأعمال الإرهابية التي تســـعى إلى زعزعة الأمن والاستقرار في دول العالم.

الرئيس المالي يستقبل الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

الرياض: استقبل فخامة الرئيس إبراهيم بوبكر كايتا رئيس جمهورية مالي في مقر إقامته بالرياض. معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى. وجرى خلال الاستقبال بحث عددٍ من الموضوعات المتعلقة بجهود رابطة العالم الإسلامي في مجال التثقيف والوعي الديني. حضر الاستقبال سفير خادم الحرمين الشريفين لدى جمهورية مالي مسعود بن علي العرابي الحارثي. وسفير جمهورية مالي لدى المملكة زيني مولاي.

والسفير النمساوي

الرياض:
استقبل معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في مكتبه بالرياض سفير جمهورية النمسا لدى المملكة السيد جريجور كويسلر.
وقد جرى خلال اللقاء بحث عدد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

د.العيسى يستقبل نائب الوزير بمجلس الوزراء الماليزي

الرياض:
استقبل معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى في مكتبه بالرياض معالي نائب الوزير بمجلس الوزراء بماليزيا السيناتور الدكتور أشرف وجدي والوفد المرافق.

د.العيسى يستقبل السفير السويسري

الرياض:
استقبل معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ الدكتور محمد بن عبدالكريم العيسى، في مكتبه بالرياض سفير جمهورية سويسرا لدى المملكة السيد هاينريخ شيلينبيرغ.
وقد جرى خلال اللقاء بحث عدد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

أحمد جاب الله عميد المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية للرابطة:

يتأسس الحوار الآمن مع الآخر بالتمركز حول المشتركات الإنسانية وعدم الدخول في دوائر الخلاف العقدي والجذري

حوار / عبد الله علي الطياري

من الضروري إصلاح خطابنا الديني والعمل على إنتاجٍ معرفي ثقافي لعصرنا

طالب الدكتور أحمد جاب الله عميد المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية في باريس بإصلاح الخطاب الديني والعمل على إنتاج معرفي ثقافي لعصرنا، ينطلق من الثوابت والأصول، ويراعي الواقع ومتغيرات الزمان. وأشار جاب الله إلى أن الخطاب الديني في الغرب هو خطاب عربي بامتياز؛ عربي اللغة، والمضمون، والموضوع، والوجهة، وهو يصنع في كثير من الأحيان ـ الحاجز بين المسلم وبين عالمه ـ ويزهد الشباب في متابعته، ناهيك عن تمثله والاقتداء به.

جاء ذلك في حوار مطول وخاص لمجلة الرابطة أجري على هامش مؤتمر الاتجاهات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة الذي انعقد بمقر رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

ودعا الدكتور أحمد جاب الله المسلمين إلى عدم إصدار أحكام مسبقة على الغير، موضحًا أن المسلمين عانوا كثيرا من الأحكام المسبقة التي تصدر ضدهم، مضيفًا أنه لا بد من بناء جسور الثقة بين الشباب والعلماء، وفتح حوار جاد لإصلاح الأفكار المغلوطة في فضاء الأفكار والعوالم المفتوحة.

تعريف بالكلية الأوروبية:

• في البدء حبذا لو أعطيتنا فكرة شاملة عن الكلية الأوروبية للعلوم الإنسانية.

الكلية الأوروبية للعلوم الإنسانية هي أول مؤسسة تعليمية جامعية في ألمانيا تقدم الدراسات الإسلامية باللغة العربية، وقد تأسست قبل ثلاث سنوات وتخرجت أولى دفعاتها نهاية العام الماضي ٢٠١٦م ، ومقرها الرئيس مدينة فرانكفورت، ولها فرع في مدينة برلين، وإجمالي عدد طلابها قرابة المئة طالب.

بالكلية قسم للدراسات الإسلامية باللغة العربية، وقسم للغة العربية للناطقين بغيرها، وتعمل قريبًا على إطلاق ثلاثة مشاريع: معهد القرآن الكريم، وقسم الدراسات الإسلامية باللغة الألمانية، ومعهد البحوث والدراسات.

وتهدف الكلية إلى تلبية احتياجات المجتمع الألماني، والوجود الإسلامي في ألمانيا وأوروبا، وتكوين الأئمة والدعاة والمفكرين والفقهاء من الأجيال الجديدة لمسلمي ألمانيا، تكوينًا شرعيًا يراعي

خصوصية الزمان والمكان، ويأخذ في الاعتبار أعراف وقوانين البلاد، ويتجاوز سلبيات الدراسة الشرعية خارج أوروبا، وينسق ويتعاون في ذلك مع المؤسسات العلمية القائمة.

والمشروع ثمرة للتعاون بين كبرى المؤسسات الإسلامية في ألمانيا؛ العربية منها والتركية، والبوسنية، والألبانية.

الخطاب الديني في الغرب هو خطاب عربي:

• هل تتفقون معي بأن حتمية التعايش الإنساني لم يستوعبها الكثير على الرغم من عظة التاريخ ومآسيه، حيث إن الصراع الإنساني يقوم معظمه على صراع الأفكار كما يقوم أيضاً على المطامع السياسية التي وظفت الأديان غطاء لمصالحها المادية؟ وأن مخالفة حتمية التعايش أنتجت صراعات خلفت المآسي والحروب. أليس الانفتاح على الآخرين ودراسة ما لديهم من الأفكار والآراء مما يعكس مستوى الوعي وسلامة البيئة التعليمية؟ فعندما يكون الإنسان على سلوك معين أو رأي معين فإنه يحتاج إلى تعليم وبيئة ناضجة وواعية حتى لا يكون رافضاً لأي فكرة أو رأي إيجابي لمجرد أنه يختلف مع ثقافته، وكيف يمكن تفعيل ذلك لدى الجالية المسلمة بالمجتمعات الغربية؟

هذا كلام جيد محقق، وحتى نحقق هذا التعايش الإنساني، ونقدم نموذجًا حضاريًا من خلال الوجود الإسلامي في الغرب أركز على نقطة واحدة شديدة الأهمية، ولا يعني ذلك عدم وجود غيرها. وهي ضرورة إصلاح خطابنا الديني والعمل على إنتاج معرفي ثقافي لعصرنا ينطلق من الثوابت والأصول، ويراعي الواقع ومتغيرات الزمن، لقد ركز خطابنا على الجانب التشريعي وأهمل الجانب القيمي والأخلاقي، وحتى عند المعالجة للجانب التشريعي، هُمّشت القيم الكامنة وراء التكليفات الشرعية، فنتج عن ذلك تلك الشخصية المشوهة للمسلم المعاصر، وذلكم التدين الهش، وصارت الصورة الذهنية عن المسلم لدى العالم صورة مغلوطة لا تعكس سماحة الإسلام وتعاليمه وقيمه الحقيقية.

إن الخطاب الديني في الغرب هو خطاب عربي بامتياز؛ عربي اللغة، والمضمون، والموضوع، والوجهة، وهو يصنع - في كثير من الأحيان- الحاجز بين المسلم وبين عالمه، ويزهد الشباب في متابعته، ناهيك عن تمثله والاقتداء به. كيف يمكن لنا أن نقدم نموذج التعايش الإنساني إذا كنا ننظر للآخر باستعلاء واحتقار وأننا في الجنة وأنه في النار، وأنه خبيث نجس الظاهر والباطن، ونستحضر صراعات تاريخية قديمة لتأجيج العداوة والخلاف. كيف يمكن ذلك والدعاء على غير المسلمين يقع في خطابنا في بلد ضَمِن للمسلمين عيشًا كريمًا وساوى بينهم وبين أهل البلد في الحقوق والواجبات؟! لقد شوش على التعايش الإنساني التأويل الخاطئ للنصوص، واستصحاب فترات تاريخية معينة كلها صراعات وحروب، وأقوال فقهية أنتجت في سياق خاص، وصورة للعالم والدولة لم تعد موجودة الآن، كتقسيم الدور، وجهاد الدفع، وغير ذلك من الفروع والأحكام.

والخطر الأكبر اعتبار الاجتهادات الفقهية المذهبية دينًا لا يجوز مخالفته أو تأويله، فضلا عن نقده من أهل الاختصاص، وهي في الواقع مدارس فقهية واجتهادات بشرية غير معصومة، وإن أنتجها فقهاء كملت لهم أدوات لم تحصل لغيرهم ممن جاء بعدهم.

• بعض المسلمين لا يقبل ترك أعراف نشؤوا عليها:

هل ترون أن أقوى مكامن الاختلاف بيننا وبين الآخر، هي عدم الانفتاح على الآخر والانغلاق الفكري والتقوقع في الدائرة الضيقة، وكيف لمستم ذلك مع المسلمين وعلاقتهم بالمجتمع؟

نعم، قلت مرة وأنا أرصد وأحلل النماذج التي تعتنق الإسلام في الغرب وتتمسك به، بل يصر بعضهم على تغيير اسمه، قلت: إن هذه النماذج أقرب إلى روح الإسلام من بعض المسلمين، لأنه فكر واتهم نفسه وقرأ واطلع على ما عند غيره فآمن به وغير معتقده تبعًا له. أما بعض المسلمين فلا يقبل أن يترك عرفًا نشأ عليه لا صلة له بتشريع عام أو خاص، أو رأي فقهي يتصادم مع المصلحة العامة للناس في زمنه، كيف له أن يفيد مما عند الآخر وأن يحقق بوجوده في الغرب وصلا بين حضارتين، نحن بحاجة إلى إشاعة ثقافة الاختلاف وكيف نختلف وأن نضع أنفسنا مكان الآخر وأن نتواضع معه، وأن نعيد النظر في التأويلات الخاطئة للنصوص، والمبادئ الفقهية التي تكرس للصراع وتصنع الحواجز بيننا وبين العالم كمبدأ الولاء والبراء، الذي كاد يقضي به البعض على كل مودة تقع حتى بين الزوج المسلم وعائلة زوجته غير المسلمة، أو زوجته المسلمة! لقد عانينا نحن المسلمين كثيرا من الأحكام المسبقة ضدنا، فعلينا أن نستوعب الدرس ولا نصدر نحن أحكامًا مسبقة على غيرنا.

• كيف يمكن لنا إذن كسر حواجز هذا الانغلاق الذي يصنعه بعض المسلمين على أنفسهم؟

تُكسر هذه الحواجز بالتمركز حول المشتركات الإنسانية، وعدم الدخول في دوائر الخلاف العقدي والجذري. إن القيم الإنسانية المشتركة الجامعة كثيرة، وهي ما ركز عليها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في حواره الشهير مع النجاشي عندما سأله من أنتم ولماذا جئتم؟ فقال: كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونسفك الدماء ونسيء الجوار ونقطع الأرحام، فأرسل الله إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته فَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفُحُوشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

هذا الخطاب القيمي الإنساني هو ما نحتاجه اليوم لتجنب التطرف والتطرف المضاد، ولهذا فقد صدر عن المجلس الأوروبي للإفتاء قرارٌ مهم كان له أبلغ الأثر في توجيه مسلمي أوروبا في

التعامل مع قضيـــة اللاجئين من منطلقات إنســـانية خالصة، ونصه: من أسس العيش المشترك عدم التفريق بين المسلم وغير المســـلم في المواســـاة والدعم أثناء الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانـــات، أو التبرع بالـــدم والأعضاء، أو مســـاعدة اللاجئين وإغاثتهم. فالتفريق بين المســـلم وغير المســـلم في هذه الصور يخالف الأصول التي دلت عليها نصـــوص القرآن، كقوله تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْـــرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًـــا بِغَيْرِ

• يشوش على التعايش الإنساني؛ التأويل الخاطئ للنصوص، واستصحاب فترات تاريخية معينة، وأقوالُ فقهية أنتجت في سياق خاص

نَفْسٍ أَوْ فَسَـــادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَـــلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: ٣٢]. وقوله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْـــكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان: ٨]. وقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائـــدة: ٢]. فهـــذه النصوص كونـــت أصلًا كليًّا عَامًّـــا لا يجوز الاعتراض عليه بالإبطال بنص جزئي.

• يقول بعض المفكرين الدارســـين لواقع الصـــراع مع الآخر إنه ناجٌ من أسباب أن البعض لم يستوعبوا سنة الخالق في وجود الاختلاف والتنوع والتعددية، مع اســـتيعاب الســـنة الكونية التي يجب أن نعيها جيداً ونســـتفيد منها وألا تحول بيننا وبين التعاون والتعايش والتسامح والمحبة؟

هناك قصور كبير عام في دراســـة السنن وفقهها والتعايش في إطارها ومن هذه الســـنة، ســـنة الاختلاف والتنوع، التي نتج عن عدم إدراكها التأثير السلبي على قيم التسامح والتعايش والمحبة مـــع الآخر، بل النظرة الأحادية عند قطاع من شـــبابنا في الغرب

• يتأسس الحوار الآمن مع الآخر بالتمركز حول المشتركات الإنسانية، وعدم الدخول في دوائر الخلاف العقدي والجذري

وتأويل بعض النصوص القرآنية والنبوية لأسلمة العالم والقضاء على الأديان الأخرى.

وقد كان الحديث الشـــريف أي المدينتين تفتح أولا؟ قسطنطينية أم رومية؟ فقال رســـول الله: مدينـــة هرقل تفتـــح أولا: يعني قســـطنطينية، موضع تساؤل الساســـة والإعلاميين لفترة في إيطاليا بعد تأويل ظاهري للحديث بأن فتح روما فتح حرب وقتال من أحد الداعين إلى أسلمة أوروبا!

• الاختـــلاف الدينيّ والثقافـــيّ والفكريّ وأخطاءُ التشـــخيص ســـبب للأحقاد والكراهية، التي تُعَـــدُّ المغذي الرئيس للتطرف والإرهـــاب، كما جاء فـــي كلمة الأمين العـــام للرابطة بالبرلمان الأوروبي، فكيف يمكن معالجة هذا الأمر؟

لا بد من بناء جســـور الثقة بين الشباب والعلماء، وفتح حوار جاد لإصلاح الأفكار المغلوطة في فضاء الأفـــكار والعوالم المفتوحة، ولا بد من التســـليم بوحدة الأصل الإنســـاني، فلقد خلق الله عز وجل النـــاس جميعًا من أصل واحد فقال تعالى: {يـــا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـــعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُـــمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣]، ويقتضي التسليمُ بوحدة الأصلَ الإقرارَ بمساواة الناس جميعًا في الاعتبار الإنساني والكرامة.

وكذلـــك اعتماد الحوار فـــي التواصل وحل المشـــكلات، وهذا هو الأســـلوب الأمثل الذي يهيئ الأذهان للالتقـــاء على الحق، وهو ما قرره القرآن في آيات كثيـــرة ومواقفَ عديدةٍ في مجادلات الأنبياء لأقوامهم، وفي مقدمتهم ســـيدنا إبراهيـــم الخليل المقتدى به في الرســـالات الســـماوية الثلاث، وما أمر الله به رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم من المجادلة بالحسنى: {وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـــنُ} النحل: ١٢٥ . والعمل علـــى كل ما يؤدي إلى التصالح وتحقيق الســـلم الاجتماعي، وحســـن التواصل والتراحم والرفق المتبادل، ونبذ التشدد والعنف؛ لما يعود به من الخير وتحقيق الغايات والمقاصد الاجتماعيـــة. وتفعيل مبادئ وثيقة العيش المشـــترك الصادرة عن المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.

• الله أراد لجميـــع الحضـــارات الإنســـانية أن تتعـــارف وتتقارب، وتتعاون لكســـر حواجز البرمجةِ الســـلبية التي نشـــأ عليها البعض من أتباع هذه الحضارات، بسبب نظرة فردية تستطلع مـــن زاوية واحـــدة، وتتلقى معلوماتِها من مصـــدر واحد، بعيدًا عن منطـــق الإنصاف والوعي. علمًا بأن أي نـــزاع عنيف ينتهي بخســـائر فادحةٍ على الجميع، كيف يمكن لنـــا تحقيق مفهوم التقارب والتعاون لكسر مثل هذه الحواجز؟

نحن بحاجة ماسة إلى فهم عالمنا، وقراءة التاريخ بتدبر، وترسيخ معنى المساواة عمليًا، وتجنب الإقصاء والتهميش في مؤسساتنا. وتجاوز الصـــدام الحضاري وبلوغ التعاون والتقـــارب يكون باحترام الكرامة الإنســـانية ومراعاة حقوق الإنســـان. فالبشـــر جميعًا متســـاوون في هذا الأصل فلا يقبل الاعتـــداء عليهم أو امتهان كرامتهم أو ســـلب حقوقهم، وقد أكد القرآن هذا المبدأ في قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٧٠]، وكما أن هـــذا الحق في التكريم حال الحيـــاة فهو كذلك حال الموت، وأن الإنســـان بموته لا يســـقط حقه في الكرامة، فالإنسان

نفس مكرمة حيا أو ميتا ولقد قام النبي صلى الله عليه وسلم لما مرت جنازة فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليست نفسا» (متفق عليه).

• بما أنكم تمثلون إحدى الفاعليات الإسلامية في أوروبا فبم تقيّمون الأصوات اليمينية التي بدأت تبرز في الساحة الأوروبية وهي أصوات فاعلة اليوم بالمشهد؟

بروز تيار اليمين المتطرف قام على عدائه للوجود الإسلامي بأوروبا، وخطر صعوده على المجتمع الأوروبي وعدوانه على قيمه أعظم من خطره على مسلمي أوروبا، والإشكال أنه صار عاملا حافزًا للأحزاب المعتدلة للاقتراب من خطابه حتى لا تخسر أصوات الناخبين، وهذا تمامًا ما حدث في هولندا، حيث لم يكتسح حزب فيلدرز هناك كما كان متوقعًا، لكنه نجح في نقل الحزب الحاكم إلى نحو من خطابه حين قال رئيس الوزراء الهولندي: على مسلمي هولندا أن يختاروا بين الاندماج في المجتمع أو الرحيل من هولندا!

العالم الإسلامي تراجع حضوره وتأثير تفاعله مع قضايا الحضور الإسلامي في أوروبا، رغم دقة وحساسية المنعطف التاريخي الذي يمر به الوجود الإسلامي في أوروبا، لعل السبب يعود إلى المتغيرات السياسية العالمية، وتجنب الدخول في صراعات غير معلومة النهايات.

ومن أهم العقبات أمام هذا التقارب الآلة الإعلامية وطريقة تعاملها مع قضايا المسلمين، وتضخيم السلبيات، ووضع المسلم دائما في دائرة الاتهام، واعتبار المسلم جسمًا غريبًا عن المجتمع، ثم تيار العنف ومشاهد العنف والقتل والذبح التي صنعت حاجزًا كثيفًا بيننا وبين العالم.

• لا يزال صوت المسلم بالحياة العامة الأوروبية صوتًا غير فاعل، ما هي الأسباب من وجهة نظركم، وما هي الآليات التي ترونها ناجعة في تفعيل هذا الصوت؟

هناك نماذج أوروبية مسلمة صاعدة مؤثرة في المجتمع الأوروبي لكنها ما زالت قليلة محدودة، والأسباب ترجع إلى: عدم اهتمام الجيل الأول بملف التعليم بالقدر الكافي، وتأرجحه في الإقامة في أوروبا، فهو موجود في أوروبا لكنه لا يعيش فيها، فاقتصاده وفكره في وطنه الأم، هذا التفكير ألقى بظلاله السلبية على الأجيال الجديدة، يضاف إلى ذلك شعور المسلم الأوروبي بالتهميش والتمييز في صور كثيرة، خذ مثالا على ذلك: قرار المحكمة الأوروبية الأخير بشأن عمل المسلمة بحجابها وكيف يمكن أن يؤثر على تعليم وفاعلية المسلمة في المجتمع الأوروبي.

وآلية تفعيل صوت المسلم الأوروبي تتمثل في الآتي:

أولاً: المشاركة السياسية الفاعلة وتنمية الوعي السياسي لمسلمي أوروبا.

ثانيا: صناعة وإيجاد الرموز المفكرة والقادرة على بلورة رؤية واضحة للحضور الإسلامي في أوروبا في ضوء قراءة دقيقة لماضيه وحاضره واستشراف مستقبله.

ثالثاً: الانتقال من الفكر الدفاعي وردود الأفعال، إلى الفكر التأسيسي والعمل وفق رؤية واضحة وثابتة.

رابعاً: معالجة القضايا الأوروبية من منطلقات أوروبية وبأدوات ولغة المجتمع، وإيجاد رصيد واضح للمسلم الأوروبي لدى المجتمع.

• لا بد من بناء جسور الثقة بين الشباب والعلماء، وفتح حوار جاد لإصلاح الأفكار المغلوطة

• أقر البرلمان الكندي أخيراً مشروع قانون يمهد الطريق أمام إجراءات مستقبلية من أجل محاربة ظاهرة الخوف من الإسلام أو معاداة الإسلام ويدعو المشروع الحكومة الكندية إلى "إدراك الحاجة للقضاء على المناخ العام المتزايد من الكراهية والخوف" و"لإدانة الإسلاموفوبيا وكل أشكال العنصرية والتفرقة الدينية الممنهجة"، كيف ترون هذا القرار، وما هو العمل الذي سوف يعمل عليه المؤتمر الإسلامي الأوروبي لاستصدار مثل هذا القرار من الحكومات الغربية الأخرى؟

هذه خطوة مهمة جدا وضرورية وإن تأخرت كثيرًا، وسبب أهميتها يرجع إلى تفاقم ظاهرة التخويف من الإسلام أوروبيًا على نحو غير مسبوق، وإلصاق التهمة بعموم المسلمين بل وبدين الإسلام في أحايين كثيرة إذا ما كان الفاعل في الحدث مسلماً، وهو ما لا يحدث في الجرائم الأشنع والأفظع إذا كان الجاني من أتباع ديانة أخرى غير الإسلام، وعلينا أن نتوقع بأنه في نهاية الأمر مريض نفسيا!

والوصول إلى خطوات أوروبية مماثلة لن يكون سهلا بسبب المناخ

• لدى قطاع من شبابنا في الغرب نظرة أحادية بتأويل خاطئ لنصوص القرآن والسنة

السائد الآن، ولأنه يعود إلى جملة من الملفات: على رأسها ملف اللاجئين والتحول في تقديمه سياسيا وإعلاميا، ملف (تدعُّش) بعض الشباب المسلم في أوروبا، وحوادث العنف الأخيرة التي وقعت في فرنسا وبروكسل وألمانيا.

لكن يمكن بلوغ هذا القصد بالانحياز إلى الأصوات السياسية والإعلامية المتزنة، وعدم التمركز حول تضرر المسلمين فقط في الإسلاموفوبيا وإنما تضرر المجتمع بأسره، والعدوان على أهم قيمه الحضارية والإنسانية كالحرية والمساواة والديمقراطية والعدل.

١٠ أيام في ضيافة
خادم الحرمين الشريفين

بقلم: محمد فرمان الندوي
أستاذ التفسير والأدب العربي بجامعة ندوة العلماء

بحمد الله سبحانه وتعالى وتوفيقه العظيم تشرفت بزيارة خادم الحرمين الشريفين، والديار المقدسة، وسعدت بالعمرة في الفترة ما بين ٢٠١٧/١/٤م و٢٠١٧/١/١٤م، وذلك ضمن برنامج ضيوف خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز (أطال الله بقاءه ذخرًا للإسلام والمسلمين)، للعمرة والزيارة، ومعلوم أن ألف رجل من العالم كله يسعدون بالعمرة والزيارة طول السنة، وتأتي الدفعات حوالي ٢٥٠ شخصاً بالدفعة في أربع مراحل، ويشرف على البرنامج معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، حفظه الله تعالى ورعاه، كما يراقبه أعضاء اللجنة التنفيذية، وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ عبدالله بن مدلج المدلج (الأمين العام للبرنامج)، والدكتور زيد بن علي الدكان (نائب الأمين العام) ، والدكتور علي عبد الله الزغيبي (رئيس الشؤون الخارجية بوزارة الشؤون الإسلامية) والشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الريس (إدارة المنظمات والأقليات الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية) وغيرهم من المشايخ والعلماء. بشرنا بالعمرة والزيارة من سعادة أستاذنا الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (مدير دار العلوم لندوة العلماء ورئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي)، كما سمعنا بالموافقة على ذلك من سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي أطال الله بقاءه (رئيس ندوة العلماء، لكناؤ ، الهند)، فشكرنا الله تعالى، ودعونا الله للخير والبركة، وبدأنا الإعدادات اللازمة لهذه الرحلة، وحجزنا التذاكر، وذهبنا إلى دلهي عاصمة الهند، وحضرنا إلى السفارة السعودية بدلهي الجديدة، لتسلم تذاكر الطائرة وجواز السفر، حيث لقينا الإخوة المخلصين في السفارة، الذين يؤدون وظائفهم بكل نشاط وجدية تحت إشراف سعادة السفير الدكتور سعود بن محمد الساطي، حفظه الله، وصاحب الفضيلة الشيخ الدكتور أحمد الرومي - حفظه الله تعالى ورعاه - فوجدنا استقبالاً عظيماً وحفاوةً كريمةً منهم، وكان جميع الإخوة المرشحين للعمرة من الهند حاضرين في صالة اللقاء، فتعرفنا بهم، وكان عددهم عشرين، وقد رشحتهم السفارة السعودية في الهند من جهات مختلفة، فتسلمنا التذاكر وجواز السفر، ثم خرجنا إلى مطار دلهي الدولي، وكانت طائرتنا في الساعة العاشرة حسب التوقيت الهندي، أقلعت الطائرة على الميعاد،

وقطعنا المسافة الشاسعة في خمس ساعات، بكل شوق ورغبة، ووصلنا إلى مطار الملك عبد العزيز الدولي بجدة، حيث كان في استقبالنا عدد من الإخوة المخلصين، الذين سهلوا الإجراءات اللازمة في المطار، ورحلتنا إلى المدينة المنورة بالطائرة. وقد تم كل ذلك في وقت قليل، ومن دون تعب ولا مشقة، وصلنا إلى المطار الدولي في المدينة المنورة، وقت صلاة الفجر، حيث وجدنا أيضاً إخوة فضلاء من وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العزيزة، ووكالة الرياض للسفر والسياحة (أمثال الشيخ عبد العزيز المبارك والشيخ بدر الحربي من الوزارة، والشيخ محمد المسند والأخ صالح عبد الرحمن ومحمد الحربي من الوكالة)، وأخذنا الأمتعة، ثم أدينا صلاة الفجر في المطار، ثم ذهبنا إلى أحد فنادق المدينة الفاخرة، قريباً من المسجد النبوي الشريف على جهة القبلة، واستقبلنا مسؤولو البرنامج (أمثال الشيخ عبدالله المدلج والدكتور زيد بن علي الدكان، والشيخ يوسف الحميد والشيخ منصور الهدبا) استقبالاً أخوياً إيمانياً، بالتمور والقهوة العربية، ثم أجروا حوارات تلفزيونية مع بعض رجال الوفد، وكان من الهند كاتب هذه السطور من ندوة العلماء لكناؤ، ثم أفطرنا فطوراً عربياً، واسترحنا قليلاً، ثم ذهبنا إلى المسجد النبوي الشريف، وتمتعنا بهذا الجو الإيماني الروحاني، الذي طالما عشناه في خيالنا، واستنشقنا عبيره من بعد.

أدينا الصلوات الخمس في المسجد النبوي، وسعدنا بالسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى خليفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر رضي الله عنهما، وكان اليوم التالي يوم الجمعة، صلى بنا صلاة الجمعة فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البعيجان (إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف)، وكانت الخطبة حول موضوع: الابتلاء سنة من سنن الله، وقد أيقظت الخطبة العزائم وبعثت الأمل والتفاؤل بالمستقبل، كما تناول الشيخ أثناء كلامه سلسلة من ابتلاءات الأنبياء، خاصة من السيرة النبوية وسيرة الصحابة رضي الله عنهم.

وكان يوم السبت لزيارة المزارات، فذهبنا إلى مسجد قباء، وصلينا ركعتين امتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: صلاة في مسجد قباء كعمرة (سنن ابن ماجه: ١٤١١) . ثم زرنا مقبرة شهداء أحد، و قرأنا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأدعية حول زيارة القبور، ولا شك أن زيارة القبور تكون لسببين: تذكر الموت

والآخرة، والدعاء للموتى، ثم ذهبنا إلى مجمع الملك فهد بن عبدالعزيز للمصحف الشريف. وقد أنشئ المجمع عام ١٩٨٣م، ويصدر في كل عام اثني عشر مليوناً من المصحف الشريف بلغات مختلفة وفق القراءات المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد نشر أكثر من ثلاثين ترجمة لمعاني القرآن الكريم. واطلعنا على جهود ونشاطات المجمع بالقرص المدمج. وقد عرفنا بالمجمع مفصلاً الشيخ صالح الحسين (مدير العلاقات العامة بمجمع الملك فهد بن عبدالعزيز)، وقال: من أنشطة المجمع عقد الندوات، والدورات التجويدية، ومجلة دورية وغيرها. وفي المساء كانت محاضرة الشيخ عبد الله بن عبدالرحمن البعيجان (إمام وخطيب المسجد النبوي) في الفندق، وكان موضوع المحاضرة: الدعوة الإسلامية: منهجها وصفاتها في الكتاب والسنة. كانت المحاضرة موفقة، تلا الإمام حفظه الله في بداية الخطبة آخر آيات من سورة النحل، ثم شرح الموضوع، وأفاد الحضور بعلمه وفضله و تقواه.

وكان يوم الأحد مختصاً بزيارة معرض أسماء الله الحسنى، وقد تم افتتاح هذا المعرض في عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز، رحمه الله، وبرعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة يوم الثلاثاء ١٤٣٥/١/١٤هـ الموافق ٢٠١٣/١١/١٩م. وقد شرح أمامنا غاية إقامة هذا المعرض الشيخ الدكتور براء عمر بُدير، وقال: إن أسماء الله الحسنى ليست محصورة في تسعة وتسعين اسماً، ودليله ما جاء في دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو استأثرت به علم الغيب عندك». ومعنى الإحصاء الإيمان بها وحفظها وطلب الدعاء بأسماء الله، وطلب منا معرفة الفرق بين الاسم والصفة، فالاسم هو الرحمن الرحيم، لكن الصفة رحمة الله، فلا يجوز أن يدعى الله تعالى بالصفة، وتنقسم أسماء الله الحسنى إلى ثلاثة أقسام: المحبة والحياء، الخوف والخشية، التعظيم والإجلال. كما زرنا معرض محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرض القرآن الكريم. كلا المعرضين يمتلئان بالتحف النادرة، والأشياء العلمية، ويقدم معرض محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة صادقة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم في خرائط و لوحات توضيحية، حتى عمران المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وجميع ما يتعلق بالسيرة النبوية، ويزدان معرض القرآن الكريم بالمخطوطات القرآنية، ونسخة من عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونسخة مخطوطة من القرن الرابع الهجري. كما شاهدنا في هذا المعرض على الشاشة كيف غيَّر القرآن الكريم العرب الأميين في مدة قليلة إلى أمة عظيمة، أحدثت انقلاباً مدهشاً في كل شيء.

وقد ساعدنا الحظ بأن نزور نادي المدينة المنورة الأدبي، وهو قريب من مسجد القبلتين، ولقينا الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، حفظه الله (رئيس مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز لخدمة اللغة العربية)، وكان في هذا النادي محاضرة حول الموقع الجغرافي للمدينة المنورة، ألقاها الشيخ عزالدين المسكي من علماء المدينة المنورة، واستغرقت المحاضرة نصف ساعة، ثم بدأت سلسلة المداخلات، التي ساهم فيها الحضور، وكان من بينهم كاتب هذه السطور، والذي أبدى فرحه وسروره بحضور المحاضرة. كما استطرد في كلامه ، فتحدث عن العلامة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي، رحمه الله، وأنه ألقى محاضرات عدة في المدينة المنورة. كما قام كاتب هذه السطور بتعريف وجيز بندوة العلماء، ودار علومها والنادي العربي الذي يلعب دوراً كبيراً في صقل مؤهلات الطلاب.

غادرنا المدينة المنورة يوم الاثنين، وقد اغتسلنا ولبسنا الإحرام في الفندق، ثم ذهبت قافلتنا إلى مسجد ذي الحليفة، صلينا هناك ركعتين، ونوينا العمرة: اللهم إني أريد العمرة، فيسّرها لي وتقبّلها مني، كما صلينا صلاة الظهر، ثم جلسنا على الباصات إلى آخر رحلتنا. وكانت لا تفارقنا في أي مكان، ووصلنا إلى مكة المكرمة وقت صلاة المغرب، ثم توجهنا للعمرة، وأدينا أركان العمرة بفضل الله تعالى، وفرغنا منها بُعيد صلاة العشاء.

ولا ننسى بهذه المناسبة ذكر ما جرى ويجري في المسجد الحرام من توسعات هائلة كبيرة. وكل ذلك بإتقان وجودة. كانت أول توسعة للحرم المكي في العصر الحديث في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز، رحمه الله، ثم التوسعة في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز، رحمه الله تعالى، حيث جرى التحسين والتجميل والتجهيز، وزيادة مساحة المسجد الحرام. وقد خصصت في التوسعة الجديدة أماكن للنساء قريبة ومنعزلة. ذكر الشيخ زيد بن علي الدكان (نائب المدير العام للبرنامج): أن التكييف الخارجي في الحرم يختلف عن التكييف الداخلي، ويستعمل الماء

فيه صافياً غير مستعمل.

وكان اليوم التالي لزيارة مصنع كسوة الكعبة، ومعرض الحرمين الشريفين، حيث قدم لنا مدير المصنع الشيخ أحمد باجودة، ومدير عمارة الحرمين الشيخ أحمد الدخيلي، شرحاً وافياً عنهما. كما رأينا بأم أعيننا النسيج وصناعته وجميع ما ينتمي إلى الكسوة والحرمين الشريفين. فقرت عيوننا برؤية هذه المشاهد، ورجعنا فرحين مسرورين. ثم ذهبنا إلى رؤية برج الساعة، جوار المسجد الحرام، وهو برج عملاق، وصعدنا إلى أعلى سطحه، ولا يسمح بالصعود إليه لكل زائر. ومن هنا رأينا مكة المكرمة و أنوارها الساطعة، وإشراقاتها الروحانية (حرسها الله من كيد الكائدين).

خلال البرنامج ذهبنا إلى معرض السلام عليك أيها النبي، في حي النسيم بمكة المكرمة، وهو معرض ومتحف فريد من نوعه، ويشتمل على تعريف عام بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبرسالته السامية وشريعته السمحة بأجمل الوسائل وأحدث التقنيات، ويقدم عبر شاشات ومجسمات ومصورات ومصنوعات ووسائل تعليمية، تفصيلاً شاملاً لأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه، ولأشكال الحياة في زمنه، حتى كأن الإنسان يعيش مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أنه مشروع إنساني عالمي، وسفر بالأرواح إلى عالم الجمال والجلال والكمال، ورحلة تبهج القلوب وتسعد النفوس.

كما اختزن المعرض أكثر من ألفي دليل على توحيد الله تعالى، لقينا صاحب هذا المشروع فضيلة الدكتور الشيخ ناصر بن مسفر القرشي الزهراني أطال الله بقاءه (المشرف العام للمشروع). وقد رتب هذه المواد من القرآن والحديث مباشرة بدلائل قوية وبراهين ساطعة، واستنفد فيه جميع قواه، كما استخدم في إعداده أكثر من مئتي قلم، بارك الله في حياته، وجعله ذخراً للإسلام والمسلمين.

وقد ذهبنا إلى منتزه الكر في منطقة الطائف مروراً بمنى والمزدلفة وعرفات. وكان مسؤولو البرنامج معنا، فكانوا دليلاً على هذه الزيارات، واستقبلونا استقبالاً حاراً، وصعدنا بواسطة (التلفريك) إلى أعلى الجبل، حيث كان مسجداً ومضيفاً. فصلينا هناك صلاة الظهر، ثم رجعنا، وتغدينا، وعقد بهذه المناسبة برنامج ترفيهي ثقافي مفتوح، وأنشدت الأناشيد العربية، وكنا نعيش في جو إيماني، ونودي باسمنا، فذهبنا إلى المنصة، وساهمنا في البرنامج.

ومما زادنا فرحاً وسروراً أننا تشرفنا بسماع محاضرة لفضيلة الشيخ خالد بن علي الغامدي (إمام وخطيب المسجد الحرام) حول: التضامن الإسلامي. في البداية تلا الإمام، حفظه الله، آيات عدة من سورة آل عمران بدءاً من: (يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ... إلى: تِلْكَ آيَاتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ)، ثم شرح الموضوع شرحاً وافياً.

وأخيراً كانت جلسة الانطباعات مع المسؤولين، وكان معنا نائب الأمين العام للبرنامج الدكتور زيد بن علي الدكان. فأبدى الوفد الهندي انطباعات سارة عن البرنامج والمملكة العربية السعودية. وسأل الشيخ الدكان عن أكبر تحدٍ يواجهه الشعب الهندي، فذكر الوفد أن بقاء الشخصية الإسلامية هو أكبر تحدٍ، ثم التعليم، ثم الاقتصاد وغيره، وقد ساهم في الإجابة مساهمة بارزة فضيلة الشيخ أمين العثماني (سكرتير مجمع الفقه الإسلامي، بالهند) كما أبدى كاتب هذه السطور انطباعاته في نقاط عدة، منها:

١. التشرف بأداء العمرة.
٢. زيارة الأمكنة المشروعة والتاريخية.
٣. إحداث فكرة وحدة الأمة.
٤. جسر لمعرفة أوضاع الأمتين العربية والإسلامية.
٥. الاطلاع على إنجازات المملكة العربية السعودية والتصوير الصادق لها، وإزالة الشبهات والشكوك عنها.
٦. رؤية مشهد من مشاهد الإخوة الإيمانية.
٧. زيارة العلماء والمشايخ وخاصة أئمة الحرم.
٨. الحوار بين مندوبي البلدان حول قضاياهم.

هذا كله من ثمرات هذا البرنامج المفيد. وقال الشيخ الدكان: إن هذا البرنامج يحدث شعور الإخاء والمحبة بين الفئات المختلفة، ويجعلهم يشعرون شعور الأمة الواحدة في مواجهة القضايا المعاصرة.

إن برنامج خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز للعمرة والزيارة يجري منذ ثلاث سنوات، ويُدعى للعمرة كل عام ألف شخصية بارزة في العالم الإسلامي، وللحج ألف فلسطيني من ورثة الشهداء، و١٢٠٠ من العالم الإسلامي. ومعلوم أن برنامج العمرة بدئ في عهد الملك سلمان بن عبدالعزيز أطال الله بقاءه، وهذا غيض من فيض، الذي يدر بخيرات كثيرة لمسلمي العالم.

الدكتور موسى أحمد مدير جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا لمجلة الرابطة:

مركز الملك سلمان للسلام العالمي سيصبح مرجعاً إقليمياً وعالمياً

أجرى الحوار: عبد الله الطياري

ألقت زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود -حفظه الله- إلى ملكة ماليزيا بظلالها على السلم العالمي من خلال الرسالة التي تعمل عليها المملكة العربية السعودية في محيطها الإسلامي والعربي ومن ضمنها مملكة ماليزيا. وقد أرست هذه الزيارة الميمونة إلى مملكة ماليزيا قواعد مركز الملك سلمان للسلم العالمي الذي صدر قرار إنشائه.

تحدث إلينا الدكتور موسى أحمد مدير جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا التي ستكون أحد الأعضاء الفاعلين بالمركز والمؤسس له بجانب رابطة العالم الإسلامي.

جامعة العلوم الإسلامية:

• كيف تنظرون إلى زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود إلى ماليزيا ونتائجها؟

سيقف التاريخ طويلا أمام زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز إلى ماليزيا، لأنها وثقت العلاقات السعودية الماليزية في مختلف المجالات الاقتصادية والتقنية والعسكرية والسياسية والثقافية.

فقد كان الاحتفاء بمقام خادم الحرمين الشريفين على كافة

المستويات في ماليزيا؛ سواءً الشعبية أم الرسمية لما يمثله هذا القائد من رمز للعزة والكرامة الإسلامية. وماليزيا تقف صفًا واحدًا مع السعودية في مختلف القضايا كالقضية الفلسطينية أو دعم الشرعية في اليمن ومحاربة الإرهاب والتطرف, ونحن نرى أن المملكة العربية السعودية مثالٌ يُحتذى لبقية الدول الإسلامية.

• حبذا لو قدمتم فكرة شاملة عن المركز والدور الذي سوف يلعبه في السلم العالمي مستقبلاً إن شاء الله.

سوف يضطلع مركز الملك سلمان للسلام العالمي بأدوار رئيسية في معالجة قضايا السلم الدولي مثل:

- سيصبح مركز الملك سلمان للسلام العالمي مرجعاً إقليمياً وعالمياً لقضايا السلام العالمي وبالتالي سيساهم في تعزيز السلم العالمي.
- سيصبح المركز منطلقاً لبناء السلام العالمي في القضايا العرقية والسياسية وحقوق الإنسان والقانون الدولي والإغاثة الإنسانية.
- سيسهم المركز في تصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام أو ما يعرف (بالإسلاموفوبيا)، وسيظهر محاسن الإسلام وتسامحه مع الآخر ونشر ثقافة الحوار.
- سيوفر المركز كل ما يدعم الخبراء والباحثين في مجال دعم وتعزيز السلام الدولي وحل النزاعات.
- سيدعم المركز ماليزيا لنشر ثقافة التسامح لأنها بلد متعدد الأعراق والأديان.

• يواجه العالم اليوم العديد من قضايا الإرهاب وتعرضت المملكة العربية السعودية وماليزيا لمثل هذا النوع من الإرهاب ، ما هي الآليات التي سوف يواجه بها مركز الملك سلمان للسلام العالمي هذا الإرهاب لإنهائه؟

من بين الآليات التي يمكن للمركز اتخاذها لمعالجة قضايا الإرهاب الآتي:

- استخدام المنصة الأكاديمية، من أبحاث وخطابات فكرية، وندوات ومنتديات، ومناقشات المائدة المستديرة بمشاركة خبراء السلام العالمي والعلماء.
- نشر نتائج الباحثين والأنشطة الأكاديمية الأخرى في شكل كتب ومجلات ودراسات وغيرها من المواد المقروءة لتعزيز فهم الناس عن السلام ولتصحيح سوء الفهم إزاء قضايا الإرهاب، الإسلاموفوبيا إلخ.
- التعاون مع خبراء السلام العالمي والعاملين عليه والباحثين فيه دعماً للسلام العالمي وحل النزاعات.

• ما هو الدور الذي ستقوم به جامعة العلوم الإسلامية بماليزيا من خلال هذا المركز؟

- تمتاز جامعة العلوم الإسلامية بدمجها بين العقل والنقل، كما أن لديها خبراء وأكاديميين في مختلف المجالات.
- تمتلك الجامعة كماً هائلاً من الخبرات والأبحاث والدراسات حول قضايا السلم العالمي مثل:

١- المقاتلين غير الشرعيين.
٢- الإبادة الجماعية.
٣- القرصنة البحرية.
٤- اضطهاد الأقليات من الروهينغا وغير ذلك.

وكل هذه الخبرات ساهمت في حصول جامعتنا على التقييم الممتاز.

- تتمتع الجامعة بعلاقات وثيقة مع جميع دول رابطة آسيا، وستسخر هذه العلاقات لخدمة مركز الملك سلمان للسلام العالمي.

• ما هي طبيعة زيارتكم الأخيرة لمكة المكرمة، هل لكم أن تحدثونا عن هذا اللقاء؟

كانت فرصة عظيمة لأن ألتقي بمعالي الدكتور الشيخ محمد بن عبدالكريم العيسى، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي. ويمكنني القول بأن معاليه يمتلك خبرة ودراية واطلاعاً وفهماً صحيحاً للإسلام مما سيسهم بشكل فاعل في إعطاء مركز الملك سلمان للسلام العالمي حيوية ودفعة قوية لتحقيق الأهداف التي تتطلع لها القيادتان في السعودية وماليزيا.

قرار المحكمة الأوروبية بمنع

الرموز الدينية في مكان العمل

الصدى .. الآثار .. الهدف ؟

أعده / منير حسن منير

مدخل :

مرة أخرى أصبح المسلمون في أوروبا وبعض دول الغرب هدفاً لأنظمة وقوانين يستغلها البعض لكيل التُهم والتحريض ضد وجودهم في القارة العجوز!

وما قرار المحكمة الأوروبية الأخير بمنع الرموز الدينية في مواقع العمل، إلا حلقة في سلسلة محاولات التضييق على المسلمين هناك حتى وإن كانوا من حملة جنسيات تلك البلدان، أو ممن وُلدوا وتربوا وتعلموا فيها ويمثلون الجيل الثالث والرابع من مهاجرين أصبحوا بحُكم القوانين والأنظمة مواطنين أصليين فيها.

وإن كان قرار المحكمة يطال الجميع دون فرز، إلا أنه أصبح عائقاً أمام المسلمات دون غيرهن، لاعتباره الحجاب رمزا دينياً يتطلب التخلي عنه في مكان عملهن. فالخيار كان محدداً .. (إما التخلي عنه وخلعه، أو ترك العمل) !!

في هذا التحقيق، نحاول قراءة الموضوع بعين فاحصة وعقل مفتوح لما يمثله من أمر يهدد حياة أسر كثيرة أصبحت خائفة على نفسها، حيث (سيف) القرار مرفوعٌ على رؤوس بعضها !

وقفت كثيرٌ من الأنظمة والقوانين العالمية عاجزة عن تعريف ما هو الإرهاب ! .. لا، بل لم تستطع محاربته بشكل فعال برغم المؤتمرات والاجتماعات التي ضمت (دهاقنة) السياسة، وكبار مسؤولي الأجهزة الأمنية التي من ضمن مهامها تتبع خيوط هذه الظاهرة التي انتشرت كالنار في الهشيم بأركان الدنيا الأربعة.

وحتى منظمة الأمم المتحدة، لا تجد لها تعريفاً محدداً، ولا توصيفاً معيناً، رغم كثرة خبرائها والمتخصصين في وضع الأنظمة والقوانين وتطبيقها في عالمنا الذي يموج بموجات (تسونامي) التي تأتي متتابعة الواحدة تلو الأخرى، ولكن بأشكال وطرق مختلفة.

ومن أخطر النتائج التي خلفتها هذه الظاهرة، تنامي العداء للإسلام والمسلمين في الغرب عامة، وأغلب دول أوروبا على وجه الخصوص، مما أدى إلى صعود الأحزاب اليمينية المتطرفة، بركوبها موجة العداء طارحة في برامجها الانتخابية شعارات معادية للمسلمين، بل بمنعهم من دخول أوروبا وإعادتهم لبلدانهم الأصلية التي قدموا منها، رغم أن أكثر هؤلاء يمثلون الجيلين الثالث والرابع من أصلاب المهاجرين الأوائل، كما يحملون جنسيات هذه البلدان، بل حارب أسلافهم في صفوف جيوشها ومات نفر كثير منهم دفاعاً عن تلكم الدول.

كما قلنا، فقد استغلت الأحزاب اليمينية المتطرفة موجة العُنف التي ضربت عواصم ومدنا أوروبية، مثل نيس وباريس وبرلين ولندن وبروكسل .. فعملت على تأجيج النعرة العنصرية في صفوف مؤيديها لحشد أصواتهم، وتبارى المرشحون في هولندا وفرنسا وبلجيكا على وضع كل المسلمين بهذه الدول في (سلة واحدة)، دون أن يفرقوا بين الأبرياء، والمفسدين المجرمين.

ومن جانب آخر، فقد أدت هجمة التصعيد الإعلامي على كل ما هو مسلم، على تصاعد ما سُمي بـ(الشعوبية) فأصبحت الدول تتنافس في (الانكفاء) على ذاتها، وترفع في ذات الوقت نبذ الآخر واستصغاره واستحقاره. لا بل، وربطت بين حوادث الإرهاب التي طالت دولاً أوروبية، وبين وجود جاليات عريقة وقديمة لا يد لها، ولا ناقة ولا جمل في ظاهرة الإرهاب !

في ذات السياق، فقد أعطت محكمة العدل الأوروبية من مقرها في لوكسمبورج، الشركات والمؤسسات حق أن تحظر ضمن قانونها الداخلي أي (إبراز أو ارتداء لرموز سياسية أو فلسفية أو دينية) للحفاظ على حياديتها وفق شروط حددتها.

القرار صدر بناء على دعويين قضائيتين رفعتها سيدتان مسلمتان في بلجيكا وفرنسا بسبب ما اعتبرتاه تمييزا مورس ضدهما من خلال طردهما من العمل بسبب الحجاب. وبينما يرفض البعض ربط الحكم مباشرة بالحجاب على اعتبار أنه يساوي بين رموز الديانات كلها، يرى آخرون في هذا الحكم قرارا جائرا يستهدف فئة المسلمات المحجبات

ويحرمهن حق العمل فقط بسبب قناعاتهن الدينية.

واعتمدت المحكمة، في قرارها على القضيتين المشار إليهما بشأن اتهامات وجهتها المسلمتان إلى المؤسستين اللتين يعملان فيهما ، بالتمييز في العمل ضدهما بسبب ارتداء الحجاب.

وكانت مستشارة لمحكمة العدل الأوروبية، قد قالت، (إنه ينبغي السماح للشركات بحظر ارتداء الحجاب، إذا كان هذا في إطار حظر عام للرموز الدينية والسياسية).

ورغم أن الحجاب يمثل قضية شائكة في بعض البلدان الأوروبية، ولاسيما فرنسا التي تولي أهمية للفصل بين

* دخول عشرات الآلاف من اللاجئين السوريين لدول أوروبية أعاد موضوع الحجاب إلى الواجهة من جديد.

مؤسسات الدولة والمؤسسات الدينية، لكون قضية ارتداء الحجاب في مكان العمل أو الشارع العام، قديمة في فرنسا تحديداً .. إلا أنها أخذت أبعاداً خطيرة وتوسعت لتنتشر في دول كثيرة في أوروبا. ثم أصبحت في الآونة الأخيرة ظاهرة، بل من أهم (أجندة وبرامج) الكثير من الأحزاب المتطرفة التي تحاول كسب الأصوات وحشد الفئات المتشددة من مؤيديها للقفز على كراسي الحكم.

وحيث إن الظاهرة كانت تنحصر في فرنسا فقط، حين تبنى قبل أعوام عدد من السياسيين وناصرتهم أجهزة الإعلام (منع المسلمات من لبس الحجاب) بشكل عام سواء في الشارع أو مكان العمل، إلا أن قرار المحكمة الأوروبية بجواز حظر الرموز الدينية في أماكن العمل، يشكل سابقة تمتد آثارها لأغلب دول الاتحاد الأوروبي، لذا فقد كان من الطبيعي

أن يثير جدلا كبيرا وانقساما حاداً حوله بين منتقد له ومرحب به، إذ يؤكد البعض أن القرار سيضع العراقيل أمام المسلمات في أوروبا، وهو ما أدى فعلا إلى ارتفاع مشاعر الخوف عندهن. ويقولون إنه ستكون له تداعيات كثيرة على أوضاع المسلمات المتدينات في القارة، لكون قرار المحكمة يعطي الحق للمؤسسات وأرباب العمل في حظر أو ارتداء الحجاب.

وبينما يرفض البعض ربط الحكم مباشرة بالحجاب على اعتبار أنه يساوي بين رموز الديانات كلها، يرى آخرون في

* تنامي العداء للإسلام والمسلمين في الغرب أدى إلى صعود الأحزاب اليمينية المتطرفة

هذا الحكم قرارا جائرا يستهدف فئة المسلمات المحجبات ويحرمهن حق العمل فقط بسبب قناعاتهن الدينية.

وفي حين رأت المحكمة أنها تتفهم ما اعتبرته السيدتان تمييزا مورس ضدهما من خلال طردهما من العمل بسبب الحجاب، إلا أنها أوضحت أن المنع لا بد أن يعتمد على قواعد تضعها الشركة تفرض فيها (لباسا محايدا) على جميع الموظفين، ولا ينبغي أن يستجيب لرغبة الزبائن، وقررت أن الشركة منعت جميع المعتقدات فلم تمارس أي تمييز ضد المدعيتين.

ويعد هذا أول قرار تصدره المحكمة في قضية ارتداء غطاء الرأس الإسلامي في أماكن العمل.

ووصلت هذه القضية إلى المحكمة بعد دعوى رفعتها عاملة الاستقبال في شركة أمنية، وهي من أصول مغربية تدعى سميرة اشبيتة، بعد أن تم طردها من عملها بعد ثلاثة أعوام، عندما بدأت تضع حجابا على رأسها في مكان العمل، وتعتقد سميرة أنها تعرضت للتمييز على أساس دينها فأحالت المحكمة البلجيكية الوطنية حينها القضية إلى المحكمة الأوروبية للاستيضاح.

وفي واقعة مماثلة، قامت شركة فرنسية بفصل مهندسة برمجيات عاملة لديها لرفضها خلع الحجاب أثناء عملها في الشركة.

وأشارت المحكمة التي تنظر في القضية، إلى أن الشركة قد تكون انتهكت قوانين الاتحاد الأوروبي المتعلقة بالتمييز على أساس ديني، عندما طردت المهندسة بسبب رفض خلع الحجاب، إذ لم يكن قرار الطرد مبنيا على قواعد داخلية عامة، وإنما تلبية لرغبة زبون بعينه أبدى امتعاضاً على لبسها للحجاب !!

وفي حين أكدت المحكمة الأوروبية ضرورة تطبيق مبدأ الحياد بالمساواة بين جميع الموظفين، إلا أنها أعطت في نفس الوقت أرباب العمل الحق في حماية الصورة الحيادية أمام الجمهور والزبائن كمطلب مشروع، مناشدة الشركة بحث إمكانية منح المدعية المسلمة (عملا لا يحتم عليها الظهور أمام الزبائن بالحجاب).

وشددت المحكمة على الشركات التي تطرد موظفين بسبب الرموز الدينية أو السياسية، باعتماد قواعد داخلية عامة تنص على ذلك، وإلا ستكون قد خالفت قانون الاتحاد الأوروبي.

* حملة مضادة للدفاع عنهم

وفي إطار حملة نظمتها جمعية مبادرة المجتمع المفتوح، للدفاع عن قضية السيدتين، وصفت الجمعية الحكم بأنه مخيب للآمال لأنه يضعف مبدأ المساواة الذي هو جوهر قواعد الاتحاد الأوروبي المتعلقة بمكافحة التمييز. وقالت مسؤولة بالجمعية، إن التشريعات في أغلب دول الاتحاد الأوروبي تعتبر منع ارتداء الحجاب في أماكن العمل تمييزا.

لكن عندما يكون القانون الوطني ضعيفا، فإن قرار المحكمة الأوروبية يقصي العديد من المسلمات من العمل.
وبالعودة إلى أصل القضية التي أثارت كل هذا الجدل، ووصلت إلى أعتاب أبواب المحاكم، يذكر أن المدعية الأولى (سميرة اشبيته)، لدى المحكمة البلجيكية، لم تكن ترتدي الحجاب عند توظيفها كعاملة استقبال عام ٢٠٠٣ في الشركة الأمنية كموظفة استقبال. لكن وبعد ثلاث سنوات من عملها (أبلغت مديرها نيتها ارتداء الحجاب) رغم علمها بسياسة الحياد التي تلتزمها المؤسسة وتمنع على أساسها أي رموز سياسية أو فلسفية أو دينية، فقامت الشركة بطردها عام ٢٠٠٦. أي بعد ثلاث سنوات من بدء عملها بالشركة.
أما الدعوى الثانية فقد تقدمت بها المهندسة (أسماء) التي كانت تعمل منذ عام ٢٠٠٨ مصممة برامج حاسوبية لدى إحدى الشركات في فرنسا. ولم تُكمل أسماء عامها الأول حتى فقدت وظيفتها بسبب شكوى تقدم بها أحد العملاء في مدينة تولوز بحجة ارتداء الحجاب خلال العمل. وحين طلبت الشركة منها عدم ارتداء الحجاب، أصرّت خلال محادثاتها مع أرباب العمل على ارتدائه، مما أدى في النهاية إلى فصلها.

*** انتقال العدوى كالنار في الهشيم !**

ومرة أخرى، أثيرت مسألة ارتداء المسلمات للحجاب بعد وصول أعداد كبيرة من اللاجئين السوريين الهاربين من الحرب إلى عدد من الدول الأوروبية، منها ألمانيا والنمسا وبلجيكا على وجه التحديد، فشكلت فرصةً جيدة لأحزاب اليمين المتطرف لاستغلالها لصالح أجندتها السياسية.
ولطالما شكل الحجاب موضوع سجال كبير في أوروبا ومسألة معقدة تتفاوت بخصوصها الآراء والإجراءات. فبينما تؤيد فئة من الأوروبيين منع الحجاب في الأماكن العامة من منطلق ترسيخ مبدأ فصل الدين عن الدولة ومنع إظهار الرموز الدينية والسياسية، يرى آخرون أن منع الحجاب يتعارض مع حرية التدين التي تكفلها الدساتير والقيم الأوروبية.
ففي ألمانيا التي يحتل موضوع اللاجئين الصدارة في النقاش الدائر حول المسلمين، خاصة في ظل تصاعد اليمين المتشدد وخطاباته المعادية للأجانب، والذي ينادي بترحيل هؤلاء اللاجئين إلى بلدانهم، بعد انتشار مشاعر الخوف المجتمعي من الأجانب نتيجة بعض العمليات الإرهابية التي كانت ألمانيا وبلجيكا وفرنسا مسرحاً لها لأكثر من مرة، مخلفة عددا من القتلى والجرحى.

تهميش للمسلمات

تقول لاجئة سورية جاءت إلى ألمانيا بصفة اللجوء، إنها وباعتبارها ناشطة ومعتقلة سابقة في سجون النظام السوري، ترى أن القرار خطير ويطرح صعوبات كبيرة أمام المسلمات اللاجئات إلى ألمانيا، لأنه يعني لها ببساطة (أن أحرم من العمل بسبب قناعتي الدينية بغض النظر عن كفاءتي).
موضحة أن الدكتوراه التي تحملها في مجال تخصصها لن تفيد المجتمع الذي تعيش فيه، وهذا أمر مؤسف لأن فرص قبول المحجبات في سوق العمل كانت ضئيلة أصلا، والآن ستصبح معدومة حسب قولها. وتضيف أنها قد عُرض عليها اللجوء إلى كندا أو ألمانيا واختارت الأخيرة بسبب ما رأته من ترحيب كبير باللاجئين، لكن بعد الذي تشهده أوروبا من جدل حول المسلمين وبعد القرار الذي اتخذته المحكمة الأوروبية، لا تخفي ندمها على عدم اختيارها بكندا عوضا عن ألمانيا.
ومن جهتها، تشاطر الصحفية (يُمنى) التي تدرس اللغة الألمانية، الرأى والمخاوف مع المهندسة إذ تقول :(أخشى أن

* أحزاب متطرفة تستغل ظاهرة (الإسلاموفوبيا) لحشد مؤيديها للصعود إلى كراسي الحكم !

يؤثر هذا القرار على مستقبلي هنا. بالتأكيد سيكون ذلك أكبر عقبة في حياتي إذا وجدت مستقبلا عملا مستقرا مع مؤسسة إعلامية ألمانية بعد إتقاني اللغة).
وتضيف قائلة، (المأساة هي أن حكما كهذا يضع المرأة بين خيارين التخلي عن قناعتها الدينية أو التخلي عن حلمها). وبغضب تقول: (لماذا لا يُترك للمرأة اختيار الشكل الذي تريد أن تظهر به؟ .. أنا مع احترام حرية كل امرأة في أن تمارس حياتها بحسب قناعاتها وهذه القرارات الأخيرة لا تتوافق مع قناعاتي. المهم أن تُحترم حريتها).

عضو المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا (مبارك كوتنا) يجزم بدوره أن الحكم شكل خيبة أمل كبيرة للمسلمين في أوروبا. ويضيف في حوار أجرته مع محطة تلفزيون دوتش فيلا العربية، هو بلا شك قرار جائر، يحرم المسلمة من العمل فقط بسبب قناعاتها، كما يحرمها من الاندماج الكامل في المجتمع. ورغم أن الحكم يشمل كافة الرموز الدينية ولا يقتصر على الحجاب فقط. يقول كوتنا (الحكم جاء بناء على حالتين لمسلمتين تستخدمان الحجاب، ولم يسبق أن سمعنا بطرد مسيحي أو يهودي من العمل بسبب قناعاته الدينية، بينما نجد المرأة المسلمة تتعرض لتمييز مزدوج ، أولا لكونها امرأة، وثانيا لأنها مسلمة، وهذا الحكم سيرسخ هذا التمييز) ويوضح كوتنا ذلك بقوله إن القرار يتعارض مع مبدأ الحرية الدينية الذي هو أحد القواعد والقيم الأساسية في أوروبا، حسب رأيه.

أما صوفيا أحمد، وهي صحفية حُرة تكتب في عدد من الصحف، فقد كتبت في مقال لها بصحيفة «الإندبندنت» البريطانية (إن هذا الإجراء سيُخرج النساء المسلمات في البلدان الأوروبية من الحياة العامة).

وأضافت في المقال الذي نقله موقع (هافنتقتون) البريطاني على صفحته العربية :

(الإسلام والمسلمون غير مُرحَّب بهم في أوروبا بعد الآن. إذا لم تكُن تلك الرسالة واضحةً بالفعل لمعظم الناس، فقد أضافها قضاة أوروبا إلى القانون. ومن المؤكد أنَّ قرار محكمة العدل الأوروبية بالسماح لأصحاب العمل بمنع العاملات لديهم من ارتداء الحجاب، لن ينتج عنه سوى تهميش المسلمات ودفعهن خارج الحياة العامة).

وانتهت إلى القول (بأن الاتجاه نحو تقنين القرارات المعادية للإسلام آخذٌ في الانتشار؛ إذ يتبع هذا القرارَ قرارُ فرنسا

* مسلمو الغرب بين مطرقة التطرف وسندان القوانين المحاصرة!

بمنع ارتداء النقاب، والذي أصدرته عام ٢٠١٠، وتودُّ دول أخرى أن تفعل الشيء ذاته، ومنها ألمانيا. ويخبر مقترحو تلك القرارات عامة الناس بأنَّ تلك القرارات سوف تحرر المسلمات من قيود الإسلام، لكنَّ تلك القرارات في الحقيقة تمثل نوعاً من أنواع التخطيط المنهج من أجل تغيير شكل المجتمع، ومحاولة إجبار المسلمات على تبني الهوية العلمانية).

مع .. أو ضد ؟

ومن جهتهم يتفهم كثير من المسلمين العاملين في ألمانيا ويستقرون فيها منذ سنوات ، القرار المتعلق بمنع ارتداء الحجاب في مكان العمل. ويرى الخبير الاجتماعي (رائف غضبان) المقيم في ألمانيا منذ مدة طويلة (أنّ الحكم لا يستهدف فئة المحجبات). ورغم أنه يرى (أنّ الحكم فيه تراجع للمكتسبات التي حققتها المحجبات في أوروبا)، إلا أنه ـ بحسب قوله ـ حكم يشمل كل الرموز الدينية ولا يعني فئة محددة. موضحا أن المسألة تتعلق بمبدأ فصل الدين عن الدولة ، وهو مبدأ دخلت أوروبا منذ عقود طويلة في تطبيقه ، وبدأ بنزع الصلبان من المحاكم ودور البلدية ثم من المدارس، أي إن المعني الأول بهذا التوجه كان المسيحيون أنفسهم. ومع مجيء المسلمين لاحقا و(إصرارهم على إدخال رموزهم الدينية تحت غطاء الحرية الدينية)، صدرت أحكام متضاربة بهذا الخصوص ، فأحيانا تكون لصالحهم وأحيانا لا تكون كذلك.

وفي هذا السياق، ولتوضيح هذه النقطة، ولتفادي تفسيرها لصالح أصحاب العمل، فقد أضافت المحكمة الأوروبية (أن شرط الحياد يجب ألا يؤدي إلى التمييز بحق أشخاص ينتمون إلى دين أو عقيدة معينة ، ويجب أن يتم تبريره من خلال «هدف مشروع» وعبر «سبل ضرورية ومواتية»).

كريستينه لودرز وهي تشغل منصب مفوضة الحكومة الألمانية لمكافحة التمييز، عبرت بقولها بأن حظر الحجاب قد يُصعب اندماج المسلمات في سوق العمل، ويشجع استبعاد أرباب العمل لموظفات بمؤهلات جيدة. وقالت تعليقا على حكم محكمة العدل الأوروبية في إشارة للحادثتين المذكورتين: (على أرباب العمل في ألمانيا أن يفكروا جيدا في المستقبل فيما إذا كانوا يريدون تقييد انتقائهم للعمالة بحظر الحجاب).

وفي الاتجاه الآخر، فقد كان للأحزاب اليمينية الصاعدة رأي آخر على العكس من هذه المواقف، ومنها رأي زعيم حزب الشعب الأوروبي في البرلمان الأوروبي، (يمين - الأكثرية) مانفرد ويبير، الذي عبر عنه على حسابه في موقع تويتر، قائلا إنه يرحب بالقرارات التي قال إنها تدافع عن القيم الأوروبية التي تهددها الهجرات نحو أوروبا .

فيما كان للمرصد (الأورو/متوسطي) لحقوق الإنسان رأي مخالف لقرار محكمة العدل الأوروبية تأييد منع ارتداء الرموز والألبسة الدينية بما فيها الحجاب في أماكن العمل، حيث استنكره المرصد ، معتبرا ذلك تراجعًا كبيرًا في

حريـــة الدين أو المعتقد في القارة الأوروبية. وأضاف في بيان صحفي (إن القـــرار يمثل انتهاكًا واضحًا وضربةً قويةً لمبادئ العدل والمساواة والحرية التي ينادي الاتحاد الأوروبي بها).

وانتقد المرصـــد القرار، موضحا أنه يمنح شـــرعية واضحةً لعمليات التمييز على أساس الدين، والتي أخذت بالانتشار في بعض الدول الأوروبية كفرنســـا وبلجيكا بســـبب إقرار قوانين مشـــابهة تحد من الحرية الدينيـــة، وتغذي مظاهر التمييز والعنصرية في المجتمعات الأوروبية.

كما أن القرار ـ بحســـب بيان (الأورو/متوســـطي) ـ يخيّر العاملات بشـــكل واضح بـــين وظائفهـــن أو معتقداتهن الدينية، معتبرًا ذلك انتهاكًا للحقوق الإنسانية والدينية، إذ ينبغي الحكم على الأشـــخاص من خلال ســـلوكياتهم وتصرفاتهم، وليس من خلال أفكار مسبقة يتبناها الآخرون لدى مشاهدتهم أشخاصًا يرتدون هذه الرموز.

وأشار المرصد الحقوقي الدولي إلى أن القرار قد يلقي بظلال كارثيةٍ على المكانة الاجتماعية والمادية للنســـاء، والتي قد تصل إلى اضطرار بعضهن مغادرة البلاد التي ستطبق هذا القرار.

ولفت (الأورو/متوســـطي) إلى أن القانون يتعارض بشـــكل واضح مع المـــادة «١٨» من الإعلان العالمي لحقوق الإنســـان الصادر عن الأمم المتحدة، والتي تنص على (لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعـــراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سرًا أم مع الجماعة).

ودعا المرصد محكمة العـــدل الأوروبية إلى مراجعة وإلغاء القانون الذي يمنع ارتداء الرموز والألبسة الدينية في أماكن العمل، وضمان موافقة التشـــريعات والإجراءات القانونية التزامات الاتحاد الأوروبي الدولية الخاصة بحقوق الإنسان بما يكفل عدم التمييز ضد المرأة أو المعتقد الديني.

.. **وختاما :**

وهكـــذا، فإن القـــرار الذي أصدرته المحكمـــة الأوروبية بهذا الخصـــوص، وفوق أنه أدى لإرباك صورة التعايش التي يجاهد المســـلمون في ترسيخها في القارة العجوز، بالانصهار في المجتمع مع المحافظة على معتقدهم الديني دون تشـــدد ولا مغالاة، فقد تحـــول إلى (كرت رابح) تلعـــب به كل الأحزاب المتشـــددة التي تحاول الصعود على كراســـي الحكم بإبرازه في وجه المسلمين كفئة مســـتهدفة، وفي وجه الأوروبيين لتخويفهم من المسلمين.

.... والمطلوب ؟

ولعل ما يحدث من عشـــر ســـنوات مضت، من استغلال البعض لظاهر الإســـلاموفوبيا التي اندلعت شرارتها بعد أحداث الحادي عشـــر من ســـبتمبر عـــام ٢٠٠١، كان مجرد ســـلم أو خطة يحاول بعض السياســـيين استغلالها في تمرير أجندتهم لمحاصرة المسلمين ومصادرة حرياتهم خاصة الدينية تحت لافتة الإرهاب الذي لم يستطيعوا تعريفه، أو تحديد مصدره، رغم اعترافهم جميعاً بأن (الإرهاب لا دين له)، فهناك الكثير من التنظيمـــات والجماعات، بل والعصابات التي ترتكب كل يوم الفظائع والشرور في كل أنحاء العالم، دون أن ينسبها أحد لعقيدة أو دين معين.

ولكن يبقى في النهاية ـ والعبرة دائما بالنهايات ـ أن يتحد المســـلمون في القارة الأوروبية على قلب رجل واحد بغض النظـــر عن أصولهم أو البلد الذي أتـــوا منه، أو اللغة الأم التي يتحدثون بهـــا. فالجميع في مركب واحد، وكلهم في (مرمى نيران) أغلب وســـائل الإعـــلام الأوروبية، إن لم تكن كلها.

كما أن الدور الأكبر يقع على عاتق المؤسســـات والمنظمات الإسلامية التي تمثل ملايين المسلمين في دول الاتحاد الأوروبي، وذلك باختراق وفك الحصار الإعلامي المضروب حول أتباعهم، والاســـتهداف الذي يضع الإسلام والمسلمين في الغرب في مرمـــى نيرانه دون أن يفرق بين البـــريء والمذنب. وعليها في الوقت نفسه تبني برامج متطورة ومدروسة لتقديم الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين، وحماية الأجيال الصغيرة من أبنائهـــم ممن ولدوا وتربوا وتعلمـــوا هناك، من الانحراف عن الطريق القويم والســـوي، وعدم تركهم لأفـــراد أو جماعات وتنظيمات تدعي الانتماء لديننا الحنيف، فيما هي تســـئ

* منظمات وجمعيات أوروبية تنتقد قرار المحكمة وتعتبره تمييزاً فاضحاً ضد المسلمات.

إليه بجرائمها وممارستها التي يرفضها كل مسلم عاقل. وبهـــذا فقط، يمكن قطع الطريق علـــى من يريد الاصطياد في الماء العكر، ليشـــوه صورة الإسلام ويضع جميع أتباعه في قفص الاتهام ومحاكمتهم بتهـــم جاهزة وجائرة دون ذنب ولا جريرة، إلا من استهداف سياسي وإعلامي لا يراعي فيهم إلا ولا أخلاقاً في زمن اختلط فيه الحابل بالنابل.

المسلمون في الإقليم الكندي كيوبيك

كتب: علي ظاهر – أكاديمية ابن سينا

ترجمه من الفرنسية ـ منير كمون

تزايدت مخاوف المسلمين في كندا بسبب تصاعد جرائم الكراهية، عقب الهجوم المسلح على مسجد كيوبيك في ٢٩ يناير الماضي، وأعقبه بعد ٤ أيام هجوم آخر على مسجد في مدينة مونتريال نفذه مجهولون، استخدموا فيه الحجارة والبيض. المقال التالي يناقش أوضاع المسلمين في إقليم كيوبيك:

خلقت هجرة المسلمين التي تسارعت في السنوات الأخيرة إلى إقليم كيوبيك الكندي وضعًا جديدًا غير مسبوق. ولا يمكن إيجاد أجوبة على التساؤلات التي تثار حول هذا الموضوع إلا من خلال بحث جماعي معمق في داخل كيوبيك وليس خارجه.

أول إشارة لوجود المسلمين في كندا تعود إلى سنة ١٨٧٠م، وكانوا يُسمَون في ذلك الوقت بالترك لأنهم كانوا يأتون لكندا من البلدان التابعة لتركيا. وكان نموهم وتكاثرهم بطيئًا جدا بسبب سياسة الهجرة الكندية التي ظلت تحد منذ منتصف القرن العشرين من هجرة أتباع الدين الإسلامي. وحسب الإحصائيات فقد كان عدد المسلمين في كندا كلها (٤٧٨) شخصا فقط عام ١٩٢١م. وعندما ألغت كندا القوانين المتعلقة باختيار المهاجرين حسب أديانهم وأعراقهم بدأ عدد المسلمين في الارتفاع، إذ قفز العدد من ٤٠ ألف شخص في بدايات سنة ١٩٧٠ إلى مائة ألف عام ١٩٨١، ثم إلى ٢٥٠ ألفاً عام ١٩٩١. والآن فإن عددهم يتجاوز ستمائة ألف في عموم كندا.

وصل المسلمون إلى كندا عبر موجات من الهجرة من بعض النقاط الساخنة في العالم: موجة قدمت من أوروبا الشرقية ثم من باكستان والهند ثم من مصر ولبنان. وأتت موجة من الجزائر. وارتبطت تلك الموجات بالأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في البلدان الإسلامية، وظلت مرتبطة أيضًا بأوضاع المسلمين الصعبة في أوروبا والولايات المتحدة، وكذلك بسياسات وقف الهجرة إلى أماكن أخرى في العالم، وبقيت كندا حتى الآن أرض استقبال للمسلمين.

لم يبدأ عدد المسلمين في التصاعد في كيوبيك إلا في منتصف ستينيات القرن الماضي، وبدأوا وقتها في التنظيم. وشهدت كيوبيك وقتها إنشاء هيئات إسلامية، وشهد الإقليم إنشاء أول مسجد في المركز الإسلامي عام ١٩٦٥م في منطقة فيل سان لوران.

و بداية من السبعينيات تصاعدت هجرة المسلمين بشكل سريع

(٤٥ ألف مهاجر عام ١٩٩١ حسب إحصائيات كندية منهم ٤١ ألفا هاجروا إلى مونتريال، ومائة ألف قدموا عام ١٩٩٥م). ووصل عدد المهاجرين اليوم إلى حوالي مائتي ألف حسب أرقام أدلت بها قيادات المهاجرين. وعليه فإن وجود المسلمين لا يُعد وجودًا هامشيًا.

خصوصية الإسلام في كيوبيك:

إن التغيرات من حيث عدد المسلمين تسمح لنا بالتأكيد على وجود إسلامي بدأ يتشكل في كيوبيك. وتمثل الهجرة الإسلامية نصيبًا لا يُستهان به من حيث عدد القادمين الجدد للإقليم الذي يستوعب مهاجرين ناطقين بالفرنسية لملء الحاجات السكانية، ولدعم موقع الإقليم في الكنفدرالية الكندية. والحاجة إلى ترسيخ الوجود الفرنسي حاجة ماسة، إذ إن المهاجرين القادمين من تونس والجزائر والمغرب يمثلون موردًا مهماً للكيوبيك من أجل تعزيز موقعها الفيدرالي من حيث عدد السكان. إن الأغلبية من المسلمين المهاجرين إلى الإقليم، يمثلون الإسلام الوسطي المتسامح، غير أن بعض المهاجرين من الذين يحدثون ضجة ويوصفون بالأصوليين أو غير المتسامحين، هم من يجتذبون وسائل الإعلام، وتمنح التغطية الإعلامية التي يحظون بها أهمية أكبر وظهورا أكبر لهؤلاء الأصوليين. ومنذ الحادي عشر من سبتمبر تشهد الجالية العربية الإسلامية نوعًا من الغليان بسبب ظهور قراءة جديدة للإسلام حتى في أوساط المثقفين أو زعماء الجالية، وهذه القراءة تتعلق بالتفاعل والاندماج الهيكلي في المجتمع الكندي.

لقد وجد المسلمون أنفسهم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر محشورين في الزاوية لأن هذه الأحداث أجبرتهم على التفكير في وضعيتهم. وصارت مفاهيم مثل الأمة والجهاد واستعمال العنف تفرض نفسها عليهم، وكذلك كيفية خلق علاقة بين تلك المفاهيم ومبادئ المواطنة. وانتشرت أيضا مفاهيم مثل السلام والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في محاولة من المسلمين الذين يعيشون في كندا للملاءمة بين الإسلام ومفاهيم المجتمع الكندي بقراءة متجددة للقرآن والنشاط في ميدان الدفاع عن حقوق الإنسان.

الإصرار على عدم الاعتراف بالإسلام:

إن من أكبر المشكلات التي تعيق الصلات بين الكيوبيكيين غير المسلمين والكيوبيكيين المسلمين هي صورة المسلمين في المجتمع. إنها صورة مشوَّهة تحمل كثيراً من الأحكام المسبقة والخلط مما يجعلهم ينطوون على أنفسهم. وأسوأ عائق في انفتاح المسلمين على غيرهم هو الصورة النمطية السائدة عنهم في المجتمع. والخطاب السطحي المنتشر هو أن مسلمي كيوبيك لا يريدون الاندماج في المجتمع ويرفضون القيم الغربية، وبالتالي يجب استبعادهم أو احتواؤهم. وهذا النوع من الخطاب يخيفهم ويجعلهم يبتعدون أو ينسحبون من الحياة العامة.

هناك في كيوبيك وفي كندا عامة يوجد جهل تام بالإسلام حاضره وخاصة ماضيه. وهناك كثير من الخطابات التي تلصق بالإسلام أبشع التهم. وكل ما يتعلق بالإسلام من ناحية العقيدة أو الروحانيات أو القيم والمبادئ مثل السلام والأمان، بقيت مجهولة في المجتمع الكندي أو معروفة معرفة قليلة جدًا. والمعروف أن الجهل وانعدام التفاهم بين الشعوب يخلقان نوعاً من الريبة والخشية المتبادلة، فمن الصعب العيش المشترك في حال يجهل الناس فيها بعضهم بعضا.

إن الاحترام المتبادل بين الشعوب والثقة والتسامح تتطلب الإصغاء للآخر ومعرفته.

ويظل المسلمون أيضا ضحايا لتيارات في المجتمع الكندي تتعمد

الحكم على بقية الثقافات والحضارات بطريقة غير صحيحة، وهو تيار يصنف الثقافات والديانات الأخرى تصنيفًا خاطئاً ويعتبرها أديانًا بدائية بربرية. إن الإصرار على اعتبار المسلمين أدنى درجة هو سلوك يسبب الكبت لدى المسلمين، ويتسبب في حفر خندق عميق بين الكيوبيكيين المسلمين وغيرهم.

إن غالبية المجتمع الكيوبيكي له مرجعية يهودية - مسيحية في الحكم على الأخلاقيات, وهو أمر له حساسية؛ خاصة عندما يتعلق الأمر بدراسة تاريخ العلوم والثقافة. فالباحثون في كندا يتحدثون مثلا عن التاريخ بدءًا بالتاريخ الإغريقي وصولا لعصر النهضة دون التطرق للحقبة الإسلامية - العربية، ولا يذكرون الإضافة الكبيرة التي أضافها الإسلام والمسلمون للنهضة وللحضارة العالمية. والمسلمون لا يطيقون سماع من يقول بأن الحضارة الغربية تتلخص في الإنجيل واليونانيين ! هذا النكران للدور الإسلامي في الحضارة الإنسانية يجعلهم يشعرون بأنهم في الهامش. ولذلك فإنه من الضروري مراجعة كتب التاريخ المقررة في المدارس وتغيير سلوك مؤسسات التعليم التي لا تعطي الطلاب إلا معلومات مقتضبة عن الإسلام والمسلمين وعن الحضارة العربية-الإسلامية.

ميثاق بين المهاجرين المسلمين وبلادهم الجديدة كيوبيك؟

يجب الاعتراف أيضا بأن بعض المشكلات يتسبب فيها المسلمون، إذ يعتبر استيطانهم في المنطقة استيطانا حديثا في كيوبيك، وأغلب زعمائهم وقادتهم ولدوا خارج كيوبيك، ويهتمون بما يحدث في بلدانهم الأصلية أكثر من اهتمامهم بما يجري في كيوبيك، ويهملون قضية الهوية. ولم ينجح إلا القليل منهم في إيجاد نوع من التوازن بين انتمائهم للشعب الكيوبيكي وانتمائهم للإسلام. وبالنسبة لكثير من المسلمين فإن هذين الانتمائين متناقضان، ولا يكملان بعضهما بعضا. يقول بعضهم إن الانتماء لكيوبيك يعني الابتعاد عن الإسلام، ويعتقدون بأن مقولة (إننا مسلمون كيوبيكيون) ليست مقولة منتشرة. والغالبية من المسلمين لم يحددوا موقفهم بعد من قضية الهوية، ومسؤولوهم وزعماؤهم لم ينجحوا بعد في تنمية الشعور لدى السكان المسلمين بالتمسك بالهوية الكيوبيكية، إذ إن شعورهم بالانتماء للإسلام يطغى على الشعور بانتمائهم لكيوبيك. والإشكالية المطروحة في أوساط المسلمين في كيوبيك هي: هل المسلم يستطيع أو يتوجب عليه الشعور بالانتماء لشعب آخر غير مسلم؟ هذا السؤال لا يزال محل جدل في أوساط المسلمين ولحد الآن لم يتم التوصل لحل لهذه الإشكالية.

كما أن القضايا الأخرى المرتبطة بالمواطنة الكيوبيكية والمشاركة كمواطنين في المجتمع الكيوبيكي لا تزال محل جدال، وبقيت غير واضحة في أذهان الكيوبيكيين المسلمين. وعدد من المسلمين يختارون التركيز على تطوير الجالية المسلمة دينيا والمجتمع الذين يعيشون فيه ليس له أهمية كبرى في أذهانهم. فهم يعيشون في كيوبيك ولكنهم في الواقع بعيدون جدا عن المجتمع. فهم لا يعيشون كيوبيك، بل يعيشون في كيوبيك فقط، ولا يهتمون كثيرا بالأحداث الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية في المجتمع الكيوبيكيين، وهم يستحسنون ما يقدمه المجتمع الكيوبيكي لمواطنيه من حرية ومساواة وتعددية ولكنهم ينتقدون هذا المجتمع! ربما لأنه مجتمع علماني، والعلمانية بالنسبة لهم رديف للإلحاد؟ والإلحاد يعني لهم الكفر والعداء للإسلام، وينقصهم الفهم العميق الحقيقي لمعنى العلمانية، وأقل حدث يقع يظهر ضعف المسلمين في نظر المجتمع الكيوبيكي.

كان هناك فقه إسلامي فيما يتعلق بحقوق الأقليات غير المسلمة التي تعيش في مجتمع ذي غالبية إسلامية، ولكن الفقه الإسلامي التقليدي يفتقر إلى أحكام تتعلق بالمواطنة والهوية والمساهمة في المجتمع عندما يتعلق الأمر بأقلية مسلمة تعيش في مجتمع غير مسلم. وحتى إن وجد هذا التشريع أو هذا الفقه فهو قليل أو جديد. وهذه التساؤلات تطرح بقوة اليوم على الكيوبيكيين المسلمين العارفين بالإسلام وبموقعهم في المجتمع. وهم المخولون أكثر من غيرهم للإجابة على هذه التساؤلات وسوف تعتمد حياتهم ومستقبلهم وعيشهم المرفه على هذه الأجوبة.

و البعض من مسلمي كيوبيك بدلا من أن يبحثوا عن تطوير نظرتهم تجاه وجودهم في كيوبيك، فإنهم يسلكون طريقاً خاطئًا آخر للبحث عن حلول لمشكلاتهم سواءً بالبحث عن فتاوى لدى علماء مسلمين يعيشون خارج كيوبيك والذين لا يعرفون شيئا عن كيوبيك وعن المجتمع في كيوبيك ولم يعيشوا أبدا في مجتمع غربي، سواءً بتطبيق أحكام أو فتاوى قديمة على الحياة المعاصرة المغايرة جدا للماضي.

كيف يمكن أن يكون سلوك الكيوبيكيين المسلمين في مجتمع هاجروا للعيش فيه مؤلفاً من غالبية غير مسلمة؟ هل يتوجب عليهم مراجعة سلوكياتهم والتخلي عن عادات موروثة ليس لها علاقة بالعقيدة وبمبادئ الإسلام لكي يسهل عليهم الاندماج وليس الذوبان؟

إن الإسلام قادر على الإجابة عن هذه التساؤلات، والفكر الإسلامي قادر على إيجاد صيغة لعقد اجتماعي أو ميثاق للتعايش أو للتحالف في مجتمع ذي أغلبية غير مسلمة. فالتأشيرة الممنوحة مثلا لشخص مهاجر للوصول إلى بلد ما وجواز السفر يعتبران بمثابة الميثاق الذي يفرض التزامات ويتطلب احترامًا للقوانين والاعتبارات الأساسية التي يقوم عليها المجتمع المستقبل له، وبمجرد قبول الشخص المسلم بالتأشيرة وبالمواطنة فهو يقبل بميثاق مع بلاده الجديدة، ويصبح إذن من واجبه الديني احترام التزامه بقوانين بلاده الجديدة.

حاجة الدعاة إلى

منهجية البحث الميداني

أ. د. أحمد محمود عيساوي

- كاتب وأكاديمي ـ الجزائر

نتساءل في مطلع دراستنا هذه عن أثر ودور البحث الميداني في نجاح العمل الدعوي، وهل فكر القائمون على العمل الإسلامي في أهمية وفائدة البحث الميداني ودوره المتميز في إتقان الجهود الدعوية المتوجهة لجمهور المستقبلين؟ وهل يستلزم نجاح العمل الدعوي - بالفعل - حذق العاملين للإسلام للبحث الميداني، أم أنه مجرد ترف زائد يمارسه الساسة لسبر آراء المنتخبين أثناء التحضير لحملاتهم الانتخابية؟ وهل للبحث الميداني فوائد على فاعلية وتأثير الخطاب الدعوي؟ وهل يمكن للدعاة وللعاملين للإسلام بناء خططهم ومشاريعهم الدعوية المستقبلية تأسيسًا على نتائج دراساتهم الميدانية للواقع، أم أن الأمر مجرد تأثر بالآخر، وإضاعة للوقت والجهد؟

هي جملة من التساؤلات التي تفرض نفسها ، يطرحها كل متخصص ودارس وراصد ممن يتابع المشهد الدعوي اليوم.. ليقول متسائلا ومتحيرا أيضا: هل راعى هذا الخطاب الدعوي في الفضائيات والشبكات ومواقع التواصل الإلكترونية وغيرها خصوصياتي وحاجاتي ومتطلباتي وظروفي وواقعي؟ وهل خاطبني بالفعل في أعماقي ولإمس انشغالاتي وتساؤلاتي وبدد حيرتي؟ أم أنه مجرد خطاب أعدَّ بمعزل عن ظروفي ومكوناتي وثوابتي؟ أم أنه خطاب له أهداف وغايات أخرى تخدم مشاريع وخطط الجهات المرسلة، ولا تستجيب مع تطلعات الجمهور المستقبل والمدعو؟

وقبل الذهاب إلى معالجة هذه الإشكالية وتبيان مكوناتها وخطواتها وفوائدها على أي نشاط أو عمل عموما، وعلى العمل الإسلامي والدعوي خصوصا، نحب أن نوضح خطورة وأهمية ومتطلبات الصناعة الدعوية بوصفها عملية اتصال بالآخرين، تهدف للعروج بهم لعبور حواجز الجاهلية وأدران الوثنية والشهوة والشيطانية والأنانية نحو الخيرية والاستقامة والفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها منذ الأزل، وغيّرتها أدران الجاهليات الوثنية، وعبثت بها خرافات الشركيات العمّية، وأججت لهاثها نهمات الشهوانية البهيمية، وأعانتها على ذلك موجة العبث واللامبالاة الإلكترونية الطاغية والسائدة اليوم، فما الصناعة الدعوية المتميزة إذن؟

* أهمية حِذْق الصناعة الدعوية:

تعد الصناعة الدعوية من أخَطر وأدق مباحث الثقافة الإسلامية الواسعة، حيث تختزل مكونات كثيفة من الحقائق المطلقة من الكتاب والسنة، ومن المعارف والحقائق التفسيرية والتحليلية التي قامت حولهما، فضلا عن سائر القراءات والفهوم والأحكام والأوامر والنواهي والمستحبات والمكروهات والتراكمات المعرفية والمنهجية والفكرية عبر القرون الهجرية المتقدمة الأولى، وتحقيقات وتوضيحات أجيال العلماء المحققين والمدققين في التراكمات التراثية حول الكتاب والسنة إلى يوم الناس هذا.

وتتكون عملية الاتصال الدعوية الإسلامية من سبعة أركان هي: (الداعية، الرسالة الدعوية، المدعوون، الوسائل، التقنيات والأساليب، الأثر، ردة الفعل وقياس الأثر)، ويتوقف نجاح العملية أو فشلها على مدى إتقان الجهات والهيئات الدعوية من إدارة جيدة لهذه الأركان السبعة، حيث يحظى كل ركن منها بأهميته

ودوره ومكانته في تبليغ الرسالة الدعوية لجمهور المدعوين على اختلاف مستوياتهم وأنواعهم وأصنافهم وتوجهاتهم وواقعهم وظروفهم.

وقد سعى المشتغلون بالعمل الإسلامي منذ القرن الهجري الأول إلى تطوير آليات وتقنيات التواصل الدعوية مع جمهور المدعوين حين احتكوا بالأمم والشعوب المفتوحة وخالطوا مجتمعاتهم في السكنى والجوار والزواج والمصاهرة وسائر النشاطات التواصلية والاجتماعية الأخرى من بيع وشراء وخدمات ومصالح ومنافع متبادلة.. كتعلم اللغة والدين والاطلاع على العادات والتقاليد والأنظمة والشرائع والأطعمة والأزياء والألوان والمناسبات والمهرجانات.. ونحوها.

وقد حفظت لنا كتب التراث الآلاف من الدروس والعبر التي تصلح مستندات دعوية مرجعية، مع فارق الملابسات والظروف التي يجب على المشتغل بالعمل الإسلامي فقهها وحسن تسخيرها وتوظيفها في موضعها الدعوي المناسب اليوم.

فقد ترك (الحارث المحاسبي ت ٢٣٤هـ) كتابه الشيق (الرعاية لحقوق الله)، كما دوَّنَ الإمام (محمد بن إدريس الشافعي ت ٢٠٦هـ) كتابيه القيمين (الأم والرسالة بتدوين البويطي والربيع بن سليمان)، وخلَّفَ الإمام (أحمد بن حنبل ت ٢٦٤هـ) كتابه القيم (الزهد)، ومثله (أبو الليث السمرقندي ت ٣٧٣هـ) كتابه (تنبيه الغافلين)، و(أبو طالب المكي ت ٣٨٦هـ) كتابه القيم (قوت القلوب)، و(ابن عبد البر ت ٤٦٣هـ) كتابه (جامع بيان العلم وفضله)، و(الماوردي ت ٤٥٠هـ) كتابه (أدب الدنيا والدين)، و(أبو حامد الغزالي ت ٥٠٥هـ) (المنقذ من الضلال) و(ميزان الاعتدال) و (إحياء علوم الدين) و (مكاشفة القلوب)، و(عبد الرحمن بن الجوزي ت ٥٩٧هـ) (بستان الواعظين) و (صيد الخاطر) و (صفة الصفوة) و(منهاج القاصدين) و (تلبيس إبليس)، والإمام (يحي بن شرف النووي ت ٦٧٦هـ) (بستان العارفين) (الأذكار) (رياض الصالحين)، و(ابن القيم ت ٧٥١هـ) (عدة الصابرين) (مكائد الشيطان) و(إغاثة اللهفان) و (مدارج السالكين) و (الجواب الكافي لمن سئل عن الدواء الشافي الداء والدواء) و (زاد المعاد) و (بدائع الفوائد) و(شفاء العليل)، و(ابن كثير ت ٧٧٤هـ) (قصص الأنبياء)، و(ابن رجب الحنبلي ت ٧٩٥هـ) (جامع العلوم والحكم)، و(المقدسي ت ٦٢٠هـ) (مختصر منهاج القاصدين)، و(الونشريسي ت ٩١٤هـ) (المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب)، و(الشاطبي ت ٧٩٠هـ) (الاعتصام)... كما ترك غيرهم من العلماء الأعلام الكثير من التصنيفات التي لا تخلو من المعارف والحقائق والأساليب والفنيات والتقنيات الدعوية الطريفة والمتميزة والناجحة أيضا، كالإمام (السبكي والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وابن رجب الحنبلي والنووي وابن حجر والذهبي، وابن الحاجب وابن العماد الحنبلي والأبّي والخطاب وابن عرفة وابن العربي..).

كما ترك المحدثون كماً معتبرا من الكتب والمصادر الدعوية، التي اعتنت بالعملية الدعوية من جوانب عدة، كمؤلفات الشيخ (محمد الغزالي ت ١٤١٦هـ ١٩٩٦م) (عقيدة المسلم، خلق المسلم، قذائف الحق، ركائز الإيمان بين العقل والقلب وحصاد الغرور والغزو الثقافي يمتد في فراغنا والحق المر والطريق من هنا..)، و(يوسف القرضاوي، ومحمد سعيد رمضان البوطي ت ١٣٣٤هـ ٢٠١٣م، ومحمد علي الصابوني، وعلي الطنطاوي ت ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، و(أبو بكر جابر الجزائري) (منهاج المسلم) ، و(عبد الحميد بن باديس ت ١٣٥٩هـ ١٩٤٠م) (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير والنذير البشير)، و(مبارك محمد الميلي الجزائري ت١٣٧١هـ ١٩٤٥م) (رسالة الشرك ومظاهره)، و(محمد سيد محمد) (المسؤولية الإعلامية في الإسلام)، وغيرهم الكثير.

ومنذ قرنين خليا، ومع إطلالة العصر الحديث وجد المسلمون أنفسهم أمام تحديات حضارية ودينية وعقدية جسام، حيث سيول الفلسفات والأفكار والملل والنحل والتيارات التي تتهددهم ودينَهم، فهبوا للكتابة والتأليف في أصالته وثرائه وعالميته وشموليته. وقد حظي كل ركن من هذه الأركان بدراسات وأبحاث وافية منذ نهاية القرن الرابع عشر ومطالع القرن الخامس عشر الهجريين، بحيث غصت وامتلأت المكتبة الإسلامية بالكتب والمصنفات الدعوية التي تناولت الركن الأول، فقد كتب شيخ الأزهر (محمد الخضر حسين الجزائري ت ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م) كتابه القيم (الدعوة إلى الإصلاح)، وكتب الشيخ (محمد الغزالي ت ١٤١٦هـ ١٩٩٦م) كتابه الشهير (مع الله دراسة في الدعوة والدعاة)، وكتب الشيخ (يوسف القرضاوي) كتابه الشهير (ثقافة الداعية) و (الدعوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) و (حتمية الحل الإسلامي) و (العبادة في الإسلام) و (الخصائص العامة للإسلام)، وكتب الشيخ (سعيد حوى ت ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م) (جند الله تخطيطا) و (هذه تجربتي وهذه شهادتي)، وكتب غيرهم الكثير كـ (سميح عاطف الزين) (صفات الداعية)..والشيخ محمد أبو زهرة ومحمود شلتوت والشيخ محمد جاد الحق وجودت سعيد وفتحي يكن وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني وعبد الكريم زيدان ومحمد أبو الفتح البيانوني.

كما اهتمت الكثير من الأقلام الدعوية الجادة بالركن الثاني (الرسالة الدعوية)، فتناولوا مكوناتها وأسسها ومستنداتها وعوامل نجاحها، كـ (أبو الأعلى المودودي ت ١٩٧٩م ١٤٠٠هـ) وكتابه (تذكرة دعاة الإسلام)، و(أبو الحسن الندوي ت ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م) (روائع الأدب والدعوة)، والشيخ (عبد الكريم زيدان ت ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م) كتابه (أصول الدعوة)، والشيخ (محمد أبو الفتح البيانوني) كتابه (القواعد الشرعية ودورها في ترشيد العمل الدعوي)، والشيخ (عبد السلام ياسين ت ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م) وكتابه (المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا).. وغيرهم..

والمتتبع للمكتبة الإسلامية الدعوية يجد أيضًا أن الدراسات في بقية الأركان: (جمهور المدعوين، الوسائل، التقنيات والأساليب، الأثر، ردة الفعل وقياس الأثر) لا تزال في بداياتها الأولى، خلا بعض رسائل الماجستير والدكتوراه الأكاديمية في تخصص الدعوة الإسلامية في الجامعات والكليات الإسلامية، التي تُخصص - بفعل التأثر بالمناهج البحثية- فصلا أخيرًا عن الدراسات الميدانية، والتي تبقى حبيسة الرفوف يأكلها الغبار وتعاني التهميش وعاديات الزمن. وإذا ما ألقينا نظرة خارجها فإننا لا نكاد نجد دراسة دعوية أخرى تهتم وتعتمد خلاصة ما وصلت إليه المكتبة المنهجية البحثية الحديثة في دراسة أركان الدعوة الإسلامية الأخرى، عدا بعض الكتب في سلسلة الأمة القطرية مع أنها تفتقر إلى البحث الميداني بكل معطياته المنهجية مثل تحليل المضمون، ودراسة الحالة ونحوها من المعطيات المنهجية الحديثة.

فلا دراسة علمية للجمهور الدعوي المستقبل، ولا الرسالة والخطاب الدعوي بأصنافه المتعددة والمختلفة: (الجمهور الحقيقي، والمتوقع، والمرتقب، والمحايد، والمنحاز، والمعادي، والمناوئ، وأصحاب الفطر السوية، والفطر المدخونة، وقوى المناوأة والاستكبار..). ولا دراسة للجمهور باعتبار أصنافه ومستوياته وحالاته وظروفه، ولا دراسة علمية للوسائل الاتصالية والإعلامية الناجحة والناجعة لنقل وتوصيل الخطاب الدعوي المؤثر في الجماهير، عدا الدراسات الإعلامية البحتة التي تنظر للجمهور من خلال نظريات البحث الإعلامي ومنهجياته، باستثناء ما تناوله المنظرون في الإعلام الإسلامي الذين لم يفرقوا بينه وبين الدعوة.

ولا دراسة علمية جادة في مجال التقنيات ودراسات الأثر الدعوي، يُعتمد عليها لتأسيس الخطاب الدعوي الفعال، حيث تُترك الأمور للمصادفات أو لبعض الآراء الأولية وغير الناضجة والمكتملة، أو لبعض التخمينات السريعة التي يتوصل إليها القائمون على العمل الدعوي أثناء الاجتماعات الدورية للهيئات والمؤسسات.

وأمام هذه المكتبة الدعوية الثرية في جوانب، والفقيرة جدا في جوانب دعوية أخرى، نجد الكثير من التوجيهات والإشارات والملاحظات التي توجه إلى صميم ومكونات وأسس الخطاب الدعوي الحديث والمعاصر لاعتبارات كثيرة جدا، لا يعنينا منها اليوم في معالجتنا هذه، إلاّ افتقارها للبحث المنهجي الميداني.

ويقتضينا التعرف على ما نقصده بالخطاب الدعوي، ونتعرف كيف يمكننا أن نعد خطابا دعويا مدروسا ومبنيا ومؤسسا على دراسة الجمهور الذي سنتوجه إليه بالخطاب الدعوي؟ وما هي أسسه ومقوماته ومكوناته؟

الخطاب الدعوي:

يعود مصطلح الخطاب في الفكر الإسلامي إلى الأصل القرآني الكريم في قوله تعالى واصفا نبيه داوود عليه الصلاة والسلام: (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) (ص: ١٩)، وفي قوله تعالى حاكيا على لسان أحد رعايا نبيه داوود عليه الصلاة والسلام: (وعزني في الخطاب) (ص: ٢٢)، و بقي اصطلاح الخطاب حبيسًا في كتابات القرون الهجرية المتقدمة بالرغم من قرآنيته، وغاب عن مصنفات المتأخرين، حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي، حيث ظهر في المصنفات الإسلامية المتأخرة بكثرة، وصار يعني: تلك الصياغات والبناءات والتراكيب اللغوية والمعرفية والمنهجية والدلالية الدينية التي تتضمنها الرموز الصوتية والإشارية والإيمائية والتقنية والفنية الشكلية ونحوها التي يبعث بها مرسل الخطاب باتجاه جمهور المستقبلين. فعملية إنتاج وبناء وتوجيه الخطاب هي عملية معقدة ومتداخلة الرموز والدلالات والمعاني.

فهو إذن مجموعة متراكبة من الصياغات، تشمل الحقيقة الدينية المطلقة من (الكتاب والسنة) المُراد تبليغها لجمهور المدعوين، والتي تحتاج إلى إعادة صياغتها أسلوبيا ولغويا، ليتمكن جمهور المدعوين من فهمها وفق مستويات الجمهور المستقبل، وقابليته النفسية.

فنحن نحتاج - إذن- كدعاةٍ إلى تكوين علمي طويل المدى لنطمئن إلى خطاب دعوي أصيل وشامل ومؤثر أيضا. وهو ما عهدناه من كبار علمائنا الذين درسنا على أيديهم في مساجد وجوامع بلاد الشام، والأمر يشابهه في الحواضر العلمية في بقية أقطار العالم الإسلامي (مكة، المدينة، القاهرة، تونس، فاس).

ونحتاج أن يصل مستوى خطابنا الدعوي اليوم إلى هذه الرتبة السامقة. وقد نتساءل حين نستمع إلى بعض الخطابات الدينية التي تبثها الفضائيات وتتناقلها مواقع التواصل الاجتماعي الشبكي اليوم: إلى متى يبقى ديننا الحنيف وسنة نبينا الكريم كلاً مستباحا لكل من سولت له نفسه أن يتكلم فيه بغير معرفة حقيقية بجمهور المدعوين؟ وهل يكفي أن يكون العالم ملمًا بعلوم الشريعة ليتسنى له الحديث لجمهور لا يعرفهم البتة؟ ومتى وكيف يمكننا صناعة خطاب دعوي متزن؟ لأن صناعة جمهور متأزم لا يحتاج إلاّ إلى عدة خطابات موتورة ومتأزمة.

فالمسألة إذن ليست قاصرة على امتلاك المعارف الشرعية التي يحوزها الداعية، وليست في حجم الوقت الممنوح له على الفضائية، ، بل من الضروري معرفة الجمهور الذي سيوجه إليه الخطاب.

وهكذا تصبح دراسة الجمهور مهمة أساسية عند تأسيس أي مشروع دعوي، شأنها في ذلك شأن جميع المشروعات المجتمعية التي تسعى للنجاح وتحقيق الآثار.

إضاءات حول التراث البيئي العربي-الإسلامي

بقلم: د.عادل عبد الرشيد غلام

باحث وأكاديمي من اليمن

التراث بمفهومه البسيط هو كل ما خلفته الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة في مختلف الميادين الفكرية والمادية والنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. فهو يعني كل ما هو موجود في الحياة، مما وصل إلينا من تجارب الأجداد في كل المجالات. يندرج مفهوم التراث في أنه امتداد السلف في الخلف. واستمرار ما ورثة الأبناء والأحفاد عن الآباء والأجداد بمعنى أنه نقطة انطلاق نحو المستقبل. وفيما يخص التراث البيئي العربي-الإسلامي، فهو تراث تم وصفه بثلاث كلمات مدلولاتها على النحو الآتي:

- البيئي: أي يختص بكل ما جاء في التراث مما يتعلق بالبيئة والحفاظ عليها.
- العربي: كل ما كُتب باللغة العربية في الجانب البيئي بصرف النظر عن جنس كاتبه، أو دينه، أو مذهبه. وكل ما وصل إلينا مما قام به العرب في هذا الجانب، وهو هنا من حيث المساحة الزمنية يمتد إلى ما قبل الإسلام.
- الإسلامي: ويقصد به النتاج البيئي في فترة الحضارة الإسلامية بكل ما احتوته من علوم، وثقافة، وقيم، وآداب، وفنون، وصناعات، وسائر المنجزات الأخرى المعنوية والمادية المتعلقة بالجانب البيئي. ويشتمل في جوهره على كل ما جاء في شرع الإسلام حول البيئة وحمايتها.

سمات هذا التراث:

يتسم التراث البيئي العربي - الإسلامي بمميزات عدة، نذكر منها الآتي:

١- المرجعية العقائدية:

من المزايا الأساسية للتراث البيئي العربي- الإسلامي أن له مرجعية عقائدية دينية تتمثل في الدين الإسلامي بأحكامه التشريعية المستمدة من الكتاب الكريم والسنة النبوية، تدعو إلى حماية البيئة.

لقد اهتم الدين الإسلامي بالبيئة ومكوناتها، بل ألزمت شريعته بحمايتها والمحافظة عليها وتنميتها. وبصورة عامة، فوفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، تعتبر حماية البيئة ومواردها والمحافظة عليها وتنميتها واجباً دينياً شخصياً، يجب أن يلتزم به كل فرد مسلم، بموجب مسؤوليته الفردية عن رعاية نفسه ومجتمعه تجاه ربه.

توجد في الشريعة الإسلامية كثير من المنهيات والمأمورات المتعلقة بحماية البيئة. وهناك آيات عديدة في القرآن الحكيم تدعونا إلى التفكر فيما خلقه الله جل جلاله من عناصر ومكونات البيئة مع إبراز أهميتها وتوازنها. وبين أيدينا في الأسطر التالية أمثلة توضيحية لاهتمام الإسلام بعنصر من عناصر البيئة وهو الماء، وهناك إشارة لاهتمام الإسلام بالحيوان ورعايته.

٢- الغزارة:

كنوز التراث البيئي العربي- الإسلامي في المجال البيئي تتسم بغزارة وعمق. ولعل من الأسباب التي ساهمت في غزارتها الآتي:

أ- إن حياة البداوة والانتقال بحثاً عن الماء والكلأ، التي عاشها العرب، في ظل الظروف المناخية الجافة وشبه الجافة، جعلتهم أكثر ارتباطاً بالبيئة وتقديراً لمكوناتها من ماء ونبات وحيوان، مما ساهم في تكوين معارف لديهم للتعامل السليم مع البيئة.

ب- لم تعشق أمة من الأمم، الترحال من مكان إلى مكان مثل العرب. فقد اتسمت حياة العربي عموماً بالتنقل بحثاً عن الكلأ والمراعي في حياته البدوية، وزاد هذا الشغف بالرحلة بعد حركة الفتوحات الإسلامية التي ضمت بلاداً وأقاليم ذات بيئات مختلفة ومنوعة، ومن هنا تعددت تلك الكتابات التي تحدثت عن هذه الرحلات حتى أصبحت علماً مستقلاً بذاته يتضمن الجغرافيا والتاريخ وعلم الأجناس وصفات الشعوب وصفات البلدان.

ج- ما جاء في الإسلام من الحث على حماية البيئة، والتفكر في موجودات البيئة وأهميتها وتوازنها، ودعوته العامة إلى العلم والتفكير، كل ذلك أدى إلى غرس أهمية البيئة في وعي المسلمين، وجعل منهم من يلاحظ ويجرب وفقاً لأسس علمية ومنهجية

منضبطة واستخلص من ملاحظاته وتجاربه علوماً ومعارف تسهم في نشر التعامل السليم مع البيئة وحل مشكلاتها بطرق ابتكارية.

٣- الشمولية: وذلك بما تميز به الشرع الإسلامي من أصول وعقائد ترفد التراث البيئي العربي- الإسلامي.

٤- الريادة: لعل من المميزات الداعية إلى التفاخر بالتراث البيئي العربي- الإسلامي والاعتزاز به هي ريادته، فهناك العديد مما توصل إليه الغرب حديثاً، كان قد تم الإشارة إليه ومعرفته في هذا التراث العتيق. وفيما يلي أمثلة لنماذج توضيحية حول سابقية التراث البيئي العربي-الإسلامي في التوصل إلى ما توصل إليه الغرب حديثاً:

أ- نظافة المدينة وإعادة تدوير مخلفاتها: نموذجٌ على ذلك مدينة صنعاء القديمة التي كان يُهتم بنظافتها، وكما كان يتم فيها إعادة تدوير المخلفات، وذلك مثلها مثل المدن الحديثة اليوم.

ب- الرفق بالحيوان: نجد في التراث الإسلامي سابقية على المجتمع الغربي في رعاية الحيوانات والرفق بها، وخاصة من خلال (الأوقاف) التي خصصت للحيوانات.

ت- الرقابة البيئية: عرف المجتمع الإسلامي (نظام الحسبة) وهو نظام رقابي اشتمل الرقابة على الجوانب البيئية.

ث- المحميات الطبيعية: كان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من قرر مبدأ المحميات الطبيعية، وأقام محميتين طبيعيتين، وحدد حدودهما، وقرر أبعادها وهما (مكة المكرمة والمدينة).

ج- اختيار الموقع الملائم بيئياً: مثل الطريقة المبتكرة للرازي في اختيار موقع بناء (بيمارستان) أي مستشفى بحيث يكون بعيداً عن التلوث وخاصة التلوث الهوائي.

ح- تقنية الري بالتنقيط: وجد أن مفهوم الري بالتنقيط المقتصد لاستخدام الماء، كان قد توصل إليه ابن العوام وطبقه بشكل أفضل من خلال طريقته (الري بواسطة الجرار).

خ- أداة تقييم الأثر البيئي: سبقت الأمة الإسلامية من خلال (القواعد الفقهية) المستنبطة من شريعتها الدينية، الآخرين في الوصول إلى مفهوم تقييم الأثر البيئي وتطبيقه واقعياً.

د- العمارة الخضراء: تميزت (العمارة الإسلامية) بأنها عمارة صديقة للبيئة في الإبداع في مجال التكيف مع المناخ، والاستفادة من الجوانب الطبيعية، إلى جانب جماليتها.

ذ- المحكمة البيئية: كانت للحضارة الإسلامية السابقية في مجال المحكمة البيئية، حيث عرفت محكمة اختصت في أهم عناصر البيئة وهو الماء، وتمثلت في محكمة المياه في بلنسية الأندلسية.

٥- التكيف المحلي: تتسم المعارف التقليدية المستمدة من تراثنا البيئي أنها في الأساس متكيفة مع الظروف المحلية ومبنية على إيجاد الحلول محلياً.

فالمعارف التقليدية هي المعارف التي تراكمت لدى مجموعة من البشر الذين قطنوا مكاناً ما لفترة طويلة وانتقلت عبر الأجيال المتعاقبة لتساعدهم على استدامة العيش في تلك البيئة. وتلك المعارف تتضمن المعارف التقنية المتوطنة، المعارف البيئية التقليدية، معارف البيئة الريفية، المعارف المحلية، والمعارف الزراعية والرعوية. وبالمعنى الواسع فإن المعارف التقليدية يمكن اعتبارها معارف حضارية، وقد نشأت هذه المعارف في نظم ديناميكي، ترتبط فيه الروحانيات وعلاقات القربى والسياسات المحلية وعوامل أخرى تؤثر في المعارف وفي بعضها البعض. وعلى وجه العموم، فإن تلك المعارف نشأت في البيئة المحلية، بحيث تتأقلم مع ظروف واحتياجات قاطني هذه البيئات، وهي معارف خلاقة وتجريبية، وتدمج على الدوام المؤثرات الخارجية والإبداعات الداخلية لمجابهة الظروف المستحدثة.

محتوى هذا التراث:

ولن يكفينا الحيز هنا لعرض كل ما يزخر به التراث البيئي العربي- الإسلامي الذي يتسم بغزارته، وبالتالي سنكتفي بتقديم صورة موجزة ومختارة لما يحتويه هذا التراث:

١- نال موضوع البيئة العناية والاهتمام من قبل العلماء الذين كتبوا بالعربية، فمن مؤلفاتهم ما اختصت في جوانب بيئية محددة، وأيضا مؤلفاتهم في المجالات الأخرى مثل كتب الحديث والفقه واللغة والطب والصيدلة والجغرافيا والرحلات والتاريخ لم تخل من الاهتمام بالبيئة.

فعلى سبيل المثال، نعرض هنا مقاطع مختارة مما كتب عن فساد الهواء، حيث نجد أن المجوّسي (كان حياً قبل سنة ٣٨٤هـ) في كتابه (كامل الصناعة الطبية) يعزو حدوث وانتشار الأوبئة إلى تبدلات الجو وفساد الهواء بالعفونات يقول: (فأما خروج الهواء عن الاعتدال في جملة جوهره، فهو أن يستحيل في جوهره وفي كيفياته إلى الفساد والعفن، فيحدث في الناس أمراضاً وأعراضاً رديئة ... وتسمى هذه الأمراض، بالوافدة وإنما سميت أمراض زمان واحد، وذلك لأن السبب المحدث لها عامل مشترك وهو الهواء المحيط بنا). كما يقول: (وأما تغير جوهر الهواء من قبل الموضع فيكون إما من بخارات تحدث من كثرة الثمار والبقول إذا عفنت فيرتفع منها بخارات رديئة تخالط الهواء أو من بخارات ترتفع من الخنادق أو من البحيرات من الآجام أو من أقذار المدن، وأما من حيث القتلى والموتى تكون في البلد أو بالقرب منه، إما حرب يقتل فيه كثير من الناس أو موت البهائم، ثم إذا حدث فيهم الوباء فيرتفع من تلك الجيف بخارات رديئة فتخالط الهواء فيستحيل الهواء إلى جوهر البخار وكيفيته فيستنشقه الناس فتكثر فيهم الأمراض الرديئة المهلكة كالموت الذي عرض لأهل أثينا).

ويعرّف ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) في كتابه (القانون في الطب) الهواء الجيد فيقول: (الهواء الجيد الجوهر، هو الهواء الذي ليس يخالطه من الأبخرة والأدخنة شيء غريب، وهو مكشوف للسماء غير محقون الجدران والسقوف).

ويذكر ابن رضوان (ت ٤٦٠هـ) في رسالته في الحيلة في دفع مضار الأبدان بأرض مصر بأن فساد الهواء هو أحد أسباب حدوث الأمراض

الوافـدة (الأوبئة) فيقول: «والهـواء تتغير كيفيتـه على ضربين، أحدهمـا تغيره الذي جرت بـه العادة، وهذا لا يحـدث مرضاً وافداً ولست أسـميه تغيراً ممرضاً، والثاني تغيره الخارج عن مجرى العادة وهذا هو الذي يحدث المـرض الوافد، وكذلك الحال في الباقية فإنها إما أن تتغير على العادة فلا يحدث مرضاً، وأما أن يكون تغيرها تغيراً خارجاً عن العادة فيحدث المرض الوافد وخروج تغير الهواء عن عادته يكون إما أن يسـخن أكثر أو يبرد أكثر أو يرطب أو يجف أو يخالطه حال عفنية، والحال العفنية إما أن تكون قريبة وإما بعيدة».

وللإمـام الغزالي قول جدير بالذكر عن حقيقة حامل المكروب وفترة الحضانة، يقـول: «إن الهواء في البلدة المصابـة بالوباء لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل إلى القلب والرئة فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر إلاّ بعد التأثير في الباطن».

وأخيـراً نذكر قول إبراهيم عبد الرحمن الأزرق (كان حياً ٥١٨ هـ) في كتابه (تسهيل المنافع في الطب والحكمة) الصريح في ذكر وتحديد الأمراض المعدية نتيجة تلوث الهواء حيث يقول: «وينبغي للإنسـان اجتناب الأمراض المعدية بواسـطة الهواء إلى مجالسة أصحابها كالجذام ... والرمد والسـل فليحذر القرب مـن أصحابها وليتباعد عنهم إلى فوق الرمح إلى ما بعد».

وفيما يلي نماذج من أسـماء المؤلفات التـي يزخر بها التراث البيئي العربي-الإسلامي في الجوانب البيئية التالية:

أ- النبات والفلاحة: (البسـتان) لجابر بن حيـان ت ١٩٩هـ. (المزارعة) للشـافعي ت ٢٠٤هـ. (الزرع) لأبي عبيـدة معمر بن المثنى البصري ت ٢٠٩هـ. (النبـات)، (التمر) لأبي زيد الأنصـاري ت ٢١٥هـ. (النبات والشـجر)، (النخل والكـروم) للأصمعي ت ٢١٦هـ. (صفة الزرع)، (النخل) لأبـي عبدالله الأعرابي ت ٢٣١هـ. (النبات والشـجر) لابن السكيت ت ٢٤٤هـ. (النبات) لأبي جعفر البغدادي ت ٢٤٥هـ. (النبات)، (الزرع)، (النخلة)، (العشـب)، (الكروم) لأبي حاتم السجسـتاني ت ٢٥٥هـ. (النبات)، (الفلاحـة) أبو زيد حنين بن إسـحاق العابدي ت ٢٦٤هـ. (النبات) لأبي سـعيد السـكري ت ٢٧٥هـ. (مفاخرة الورد والنرجس) لطيفور ت ٢٨٠هـ. (النبات والشجر) لأبي حنيفة الدينوري ت ٢٨٢هـ. (الفلاحة النبطية) لابن وحشـية النبطي من أهل القرن ٣هـ. (النبـات) للحامض البغدادي ت ٣٠٥هـ. (الزرع والنبات والنخل وأنواع الشـجر) للمفضل بن سـلمة بن عاصم ت ٣٠٨هـ. (الحرث والحيلة) للهمدانـي ت بعد ٣٣٦هـ. (الأنوار والأثمـار فيما قيل في الورد والنرجس)، (الزهر) للمرزباني ت ٣٨٥هـ. (الجامع لصفات أشتات النبات) للإدريسـي ت ٥٦٠هـ. (الرافدات بأحوال الحيوان والنبات) لابن الجوزي ت ٥٩٧هـ. (الفلاحة) لابـن العوام من أهل القرن ٦هـ. (المنية في الزراعة) لأبي عمرو الإشـبيلي. (الفلاحة أو زهر البستان ونزهة الأذهان) للحافظ المزي ت٧٤٢هـ. (بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحـين) للعباس ين علي بن داود الغسـاني ت ٧٧٨هـ. (حدائق الأزهار في فضل غرس الأشجار)، (امتثال الأمر لأخبار التمر)، (ابتسام الثغور في منافع الزهور)، (النحلة فيما ورد في النخلة) لابن طولون ت ٩٥٣هـ. (المرعى الأخضر من فتاوى البكري وابن حجر) لعبدالرحمن العمودي ت ٩٦٧هـ. (توقيف النظار على مـا ينبت في الأرض من أشجار) للأهدل ت ١٢٩٨هـ.

ب- الحيوان: (ما خالف فيه الإنسـان البهيمة في أسـماء الوحوش وصفاتها) لقطرب ت ٢٠٦هـ. (الحيـوان)، (الخيل)، (الإبل) لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري ت ٢٠٩هـ. (الوحوش)، (الإبل والشـاه) لأبي زيد الأنصاري ت ٢١٥هـ. (الإبل)، (الخيل)، (الشـاء)، (أسـماء الوحوش وصفاتهـا) للأصمعـي ت ٢١٦هـ. (أخبـار الحيـوان) و(أخبار الخيل) للمدائنـي ت ٢٢٥هـ. (الوحوش)، (الإبل) لابن السـكيت ت ٢٣٤هـ. (الحيوان)، (الأسـد والذئب)، (القول في البغال) للجاحظ ت ٢٥٥هـ. (الوحوش) لابن المبـارك الضرير ت ٢٢٠هـ. (الوحوش) لأبي سـعيد السـكري ت ٢٧٥هـ. (الإبل)، (الخيل)، (السباع والوحوش)، لابن قتيبه ت ٢٧٦هـ. (الفرق بين الحيوان الناطق وغير الناطق) لقسطا بن لوقا ت٣٠٠هـ. (رسالة في علة خلق السـباع والهوام) للرازي ت ٣١١هـ. (القـرود) للجلودي ت بعـد ٣٣٢هـ. (الحيوان)، (الإبـل) للهمداني ت بعد ٣٣٦هـ. (رسـالة في أعضاء الحيوان وأفعالها وقوتها) للفارابي ت ٣٣٩هـ. (الحيوان) لأحمد بن أبي الأشـعث ت٣٦٠هـ. (الأسد) لابن خالويه ت ٣٧٠هـ. (طبائع الحيوان وخواصها ومنافع أعضائها) لعبيد الله بن بختيشـوع ت ٤٥٣هـ. (فضل الهرة) لأبي سعد السمعاني ت٥٦٢هـ. (أسماء الأسد)، (أسماء الذئب) للصغاني ت ٦٥٠هـ. (حياة الحيوان الكبرى) لكمال الدين الدميري ت ٨٠٨هـ. (كشف البيان عن صفات الحيوان) لأبي الفتح الأسـكندراني العوفي ت٩٠٦هـ. (عنوان الديوان في أسماء الحيوان)، (جر الذيل في علم الخيل) و(فطام اللسد في أسـماء الأسـد) و(التهذيب في أسـماء الذئب) للسيوطي ت ٩١١هـ. (الفيل)، (إظهار السر في فضل الهر) لأبن طولون ت ٩٥٣هـ. (الإلمـام فيما يتعلق بالحيوان من الأحكام) لمحمد بن كتان ت ١١٥٣هـ. (الإبـل) للنضر بن شـميل ومثله لأبي عمرو الشـيباني والكلابي والباهلي والسجستاني والكسائي والرياشي والقالي.

ج- الطيور: (ضواري الطير) للغطريف بن قدامة الغسـاني من أهل القرن ٢هـ. (الطير) للنضر بن شـميل ت ٢٠٤هـ. ومثله لأبي زيد الأنصـاري ت ٢١٥هـ ، والباهلي ت ٢٣١هـ. وأبو حاتم السجسـتاني ت ٢٥٥هـ. (البـازي)، (الحمام) لأبي عبيده معمر بن المثنى البصري ت ٢٠٩هـ. (الطاووس) لعلي بن عبيدة الريحانـي ت٢١٩هـ. (الصقور والبزاة) لابـن قتيبه ت ٢٧٦هـ. (الدواجن) لأبي إسـحاق النهاوندي. (طوق الحمام) للسيوطي ت ٩١١هـ. (الفخ والعصفور)، (تأييد الإنكار في إتيان الطيـور ونحوها في الأوكار) و(تحفـة الأحباب في منطق الطير والدواب) لابن طولون ت ٩٥٣هـ.

د-الحشرات والنحل: (النحل وأجناسـه) لمحمد بن إسحاق الأهوازي. (الحشـرات) لأبي خيرة نهشل الأعرابي. (النحل والعسل) لأبي عمرو الشـيباني ت٢٠٦هـ. (الحيات والعقارب) لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري ت ٢٠٩هـ. (النحل والحشـرات) لأبي زيد الأنصاري ت ٢١٥هـ. (النحل والعسـل) للأصمعي ت ٢١٦هـ. (صفـة النمل والبعوض) لعلي بن عبيـدة الريحاني ت٢١٩هـ. (المراعـي والجراد) للمدائني ت

٢٢٥هـ. (الذباب) لابن الأعرابي ت٢٣١هـ. (الجراد) لابن أبي حاتم الباهلي ت ٢٣١هـ. (الحشرات) لابن السكيت ت ٢٣٤هـ. (الحشرات) و(الجراد) و(النحل والعسل) للسجستاني ت ٢٥٥هـ. (رسالة في الحشرات)، (رسالة في أنواع النحل وكرائمه) للكندي ت٢٦٠هـ. (نحل عبر النحل) للمقريزي ت ٨٤٥هـ.

هـ- المياه: (المساقاة) للشافعي ت ٢٠٤هـ. (الأنهار) لهشام الكلبي ت ٢٠٤هـ. (السقي والموارد)، (مياه العرب) للأصمعي ت ٢١٣هـ. (المطر)، (المياه) لأبي زيد الأنصاري ت ٢١٥هـ. (كتاب البئر) لأبي عبدالله الأعرابي ت٢٣١هـ (في قود المياه)، (علل القوى المنسوبة إلى الأشخاص العالية الدالة على المطر)، (العلة التى لها يكون بعض المواضع لا تكاد تمطر)، (الأثرين المحسوسين فى الماء) للكندي ت ٢٦٠هـ. (المناهل والقرى) لأبي سعيد السكري ت ٢٧٥هـ. (علل المياه وكيفية استخراجها وانباطها في الارضين المجهولة) لأبن وحشية النبطي من أهل القرن ٣هـ. (رسالة في تبريد الماء على الثلج وتبريد الماء يقع الثلج) للرازي ت ٣١١هـ. (المطر) للجلودي ت بعد ٣٣٢هـ. (انباط المياه الخفية) لمحمد بن الحاسب الكرجي ت بعد ٤٠٧هـ. (قاعدة في المياه والمانعات) لإبن تيمية ت ٧٢٨هـ. ((الإشارة والإيماء في حل لغز الماء) للمقريزي ت ٨٤٥هـ. (دور الفلك في حكم الماء المستعمل في البرك)، (الإيماء في فضل سقي الماء) لابن طولون ت ٩٥٣هـ. (إظهار العناية في أحكام السقاية) لمحمد العيني ت ١١٢٠هـ. (عين الحياة في علم استنباط المياه) لأبي العباس أحمد بن عبدالمنعم الدمنهوري ت ١١٩٢هـ. (شافي العليل ومروي الغليل في أحكام الماء القليل) للخوانساري ت ١٣٢٨هـ. (علم المياه الجارية في مدينة دمشق أو رسالة في علم المياه)، لمحمد العطار الدمشقي ت ١٣٤٣هـ.

و- المناخ والهواء: (الشتاء والصيف)، (الخصب والقحط) للسجستاني ت ٢٥٥هـ. (رسالة في علل أحداث الجو)، (رسالة في العلة التي يبرد أعلى الجو ويسخن ما قرب من الأرض)، (رسالة في الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء)، (رسالة في علة الرعد والبرق والرياح والصواعق والمطر)، (علة البرد المسمى برد العجوز)، للكندي ت٢٦٠هـ. (أحداث الجو)، (كون الضباب) للسرخسي ت ٢٨٦هـ. (الرياح) لإبن قتيبه ت ٢٧٦هـ. (رسالة في تأثير فصل الربيع وتغير الهواء تبعاً لذلك) للرازي ت ٣١١هـ. (الرياح والهواء والنار) لابن السراج ت ٣١٦هـ. (السماء والرعد والبرق) للجلودي ت بعد ٣٣٢هـ. (نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في ذلك وعلاج ما يتخوف منه) لابن الجزار القيرواني ت ٣٦٩هـ. (مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء) لمحمد بن أحمد التميمي من أهل القرن ٤هـ. (الحيله في دفع مضار الأبدان بأرض مصر) لعلى بن رضوان ت ٤٦٠هـ. (رسالة في آلات مقياس ارتفاع الغيوم والأبخرة) للتبريزي. (في مزاج دمشق ووضعها وتفاوتها من مصر وأيهما أصح وأعدل) ليعقوب بن إسحاق المحلي ت ٦٠٥هـ.

ز- البحار: (رسالة في السبب الذي من أجله جعلت مياه البحار مالحة) لثابت بن قرة ت ٢٨٨هـ. (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) لشيخ الربوة ت ٧٢٧هـ. (الفوائد في أصول البحر والقواعد)، (حاوية الاختصار في أصول علم البحار) لأحمد بن ماجد ت ٩٠٦هـ. (المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر)، (العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية) لسليمان المهري ت ٩٦١هـ.

ح- الجبال: (جبال العرب) لخلف الأحمر ت ١٨٠هـ. (الجبال) للنضر بن شميل ت ٢٠٤هـ. (رسالة في معرفة أبعاد قلل الجبال) للكندي ت٢٦٠هـ. (منفعة الجبال) للسرخسي ت ٢٨٦هـ. (الجبال والأمكنة والمياه) للزمخشري ت ٥٣٨هـ. (صفات الجبال والأدوية وأسماؤها وما والاها) لابن مخارق.

٢- لم يختصر الاهتمام بجانب المؤلفات، بل عرف العالم العربي والإسلامي التطبيق العملي لتقانات بيئية، مثل تلك التقانات المتعلقة بحصاد المياه والحفاظ عليها، ونقلها، ورفعها، ولعل من نماذج التقنيات المائية المتعارف عليها في العالم العربي والإسلامي الآتي: (السدود، الأفلاج، الصهاريج، المدرجات، القناطر، النواعير، الأسبلة، المقاييس).

٣- كما عرفت المنطقة العربية تطبيق أنظمة بيئية مثل نظام الحمى، حيث اتبع العرب منذ قرون عديدة قبل الإسلام نظاماً لإدارة المراعي فيه حماية البيئة ومواردها الطبيعية، من نبت وحيوان وتربة وماء، ويعرف هذا النظام بإسم الحمى، والحمى موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى، والأحمية مناطق تختارها القبائل أو أهل القرى ويحظرون الرعي فيها إلا ضمن شروط ووفق نظم خاصة، قد تختلف من مكان إلى آخر، طبقاً لما تقتضيه الظروف المحلية، وذلك بغرض توفير الكلأ والمراعي بصفة مستدامة.

فنظام الحمى تراث عربي قديم، ويعد من أقدم النظم في إدارة المراعي، ولقد ضمن اتباع القبائل لهذا النظام التنمية المستمرة والمتواصلة للمراعي، وهي غاية وهدف تحاول الدول والهيئات والمنظمات الدولية الوصول إليها، خاصة في ضوء التدهور الحادث في المراعي وإنتاجيتها الذي يمثل ظاهرة ملموسة في معظم دول العالم.

٤- نتيجة لحث الإسلام على العمل الخيري الذي أدى إلى انتشار الوقف في كافة أرجاء العالم الإسلامي وتعدد مجالاته، فإن هناك من أنواع الوقف ما اختص بالحفاظ على جوانب بيئية، وبالتالي تميز التراث الإسلامي هنا بوجود نظام تمويلي قائم على المشاركة الشعبية، وهو نظام الوقف، والذي يعمل على توفير التمويل اللازم لحماية البيئة والتنمية المستدامة.

فعلى سبيل المثال، وجدت أوقاف خصصت لأغراض النظافة وتحسين المحيط، حيث استغلت أموالها في تعبيد الطرق داخل المدن وتنظيفها، وكان هناك وقف ينفق منه لرفع الحجارة من الطرقات. وفي المغرب في عهد ملوك الدولة العلوية تنوعت الأوقاف لتصل إلى تحصين الثغور وإنارة الشوارع وتنظيفها، كما استغلت أموال الوقف هناك في إنشاء الكثير من الحمامات والأرحية والسقايات. كما أن هناك أوقافاً متعلقة بالحفاظ على الماء وتوفيره ، وتلك المختصة برعاية الحيوانات.

دراسة في كتاب "طرق الحج في إفريقيا"

قوافل الحج القديمة ومنافعها (٢-٢)

إعداد: د. محمد تاج العروسي

استعرضنا في المقال السابق جانبًا من كتاب «طرق الحج في إفريقيا»، الصادر عن مؤتمر جامعة إفريقيا العالمية في ١٤٣٧هـ، نوفمبر ٢٠١٦م. وفي هذا الجزء نتناول رحلات المستشرقين الذين رافقوا قوافل الحج الأفارقة لأغراض مختلفة؛ أو كما يصنفها الكتاب: رحلات سياحية (موضوعية)، أو استخبارية (جاسوسية)، أو (عبودية) لاعتناق دين الله.

من هؤلاء المستشرقين من قاموا بهذه الرحلات مع قوافل الحجاج بغرض التعرف على أهم ركن من أركان الإسلام، ودوره في تماسك المسلمين ووحدة صفهم، والتعرف على منطقة الحجاز وما تختزنه من الثروات. وقد استمروا في متابعة مناسك الحج والمشاركة فيه قرابة أربعة قرون وهي الفترة ما بين القرن الخامس عشر والعشرين الميلادي، الموافق القرنين العاشر والرابع عشر الهجري.

وقد توالت رحلات المستشرقين للأراضي المقدسة وقدموا وصفا دقيقا لها، من حيث الحياة الدينية، والسياسية والاقتصادية، والاجتماعية. وكانت تلك الدراسات من أهم الروافد التي أثرت الخيال الأوروبي عن حياة المسلمين في المنطقة على وجه العموم. وكان هدفهم الأساسي من تقديم هذه الدراسة تشويه صورة الحج والطعن فيه، وبث الإشاعات المضللة عنه بغرض إبعاد المسلمين عنه إلى جانب اهتمامهم بدراسة الثروة الموجودة في المنطقة.

الرحلات الجاسوسية:

كانت الرحلات الجاسوسية ترمي إلى رصد وجمع المعلومات، ثم دراستها وتحليلها، وأغلب أصحابها كانوا مستشارين في وزارات الحربية للدول الغربية، وبعضهم رافق المحتلين في حملاتهم الاحتلالية، وأعانوهم على الوصول إلى المناطق التي عرفوها قبل وصول المحتلين إليها، وتوسعت الدراسات الاستشراقية الخاصة بالإسلام، والعالم الإسلامي، فأصبحت أهم الدراسات التي تتم تحتها عمليات الرصد والجمع والتحليل لكل ما يجري في هذه المنطقة.

ومن الذين اهتموا بهذا الجانب المستشرق الهولندي سنوك خورخرونيه Snouck Hurgronje، فقد أعد رسالة الدكتوراه عن الحج تحت عنوان «أصل الحج في الإسلام»، والبحار البرتغالي» جريجوري كوادرا Gregeory Quadra الذي صحب حجاج زبيد باليمن إلى مكة، وعندما وصل إلى المدينة المنورة أصابته لوثة، فأخذ يصيح بأعلى صوته شاتمًا النبي صلى الله عليه وسلم.

والرَّحالة الإيطالي لودفيكو دي فارثيما Ludvico di Varthema الذي تسمى بالحاج يونس المصري، ورافق قافلة من حجاج الشام بوظيفة حارس مسؤولي القافلة، ويعرف في بلاد الهند بالحاج يونس العجمي الصوفي وكانوا يقبلون يديه وركبتيه في تلك البلاد.

والمستشرق دومينجو باديا لبليخ Domingo Badia Y Leyblich ، فقد قدم إلى الحجاز متظاهرًا بالإسلام، وسمى نفسه علي بك العباسي، وادعى أنه من سلالة بني العباس، وكان يعمل لصالح نابليون إمبراطور فرنسا، وهو أول من نقل للغرب فكرة منظمة وصحيحة عن مناسك الحج.

والمستشرق أولريخ جاسبر سيتزن Ulrich Jasper Ceetzen، كانت رحلته بدعم من قيصر روسيا، وكان يهدف من زيارة مكة أن يحمل لقب حاج ليستفيد منه في مهماته القادمة في آسيا وإفريقيا لصالح المخابرات الروسية.

والرحالة السويسري جون لوينغ بوركهارت Gohann Ludwing Burckhart وقد صل إلى جدة تحت اسم مستعار هو إبراهيم بن عبد الله الشامي ضمن قافلة من الحجاج النوبيين، وزار مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة وينبع، وتجول فيها مدة من الزمن تبلغ عشرة أشهر، وسجل كل ما شاهده، وكل ما عنَّ له عن تلك البلاد وأهلها، وأنماط حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

والثقافية. لقد أقام في مكة طيلة موسم الحج وأدى مناسك الحج دون أن يثير أدنى شك حول حقيقة شخصيته. وقابل محمد علي باشا في الطائف.

والرحالة جورج بيتسGeorge Pitts ، وهو بريطاني الأصل. وقد تعرض للأسر في البحر الأبيض المتوسط. وبيع لأحد المواطنين في الجزائر. وانتقل من سيد إلى آخر. فصحبه سيده الأخير إلى مكة المكرمة. وبعد عودته دوَّن ذكرياته عن بلاد الحجاز في كتاب بعد أربعين سنة من وقوع الرحلة.

والرحالة الدنماركي كرستين نيبورCarsten Neibuhr وصل إلى جدة في نهاية سنة ١٧٦٢م مع فريق علمي كلفه إمبراطور الدانمارك فردريك الخامس بدراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والجغرافية للحجاز. وتُعد كتاباته عن بلاد الحجاز رائدة في مجال الاستكشافات العلمية. ونقل خبر الدعوة السلفية إلى أوروبا. وسماها بالوهابية. وذكر عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب أخبارًا لا تصح.

والرحالة الألماني إدوارد رابيل Edward Ruppelزار جدة عام ١٨٣١م. ويُعد من المستكشفين الذين قدموا للعلم التاريخي الشيء الكثير. وذلك من خلال استكشافه للآثار في مصر وبلاد النوبة. والشام. والساحل الشرقي للبحر الأحمر. وسيناء وإثيوبيا. وكردفان. وبعد عودته من رحلاته أمضى بقية حياته في مدينة فرانكفورت. وعكف على نشر مذكراته وأبحاثه التاريخية والآثارية.

والرحالة توماس كيث: كان يشغل رتبة ضابط في الفرقة الاسكتلندية. وهو من بقايا حملة نابليون على مصر. وكان خبيرا في إدارة المعارك. وحسن التدبير. عينه طوسون باشا عام ١٢٣١هـ الموافق ١٨١٥م واليا على المدينة المنورة عندما غادرها على رأس الجيش إلى نجد. وبهذا يكون أول أجنبي غير مسلم يتولى إمارة المدينة.

والرحالة ليون روش:كان مستشارا للأمير عبد القادر الجزائري. تظاهر بالإسلام. ووصل إلى مكة في زي حاج مسلم. وتسمى باسم عمر بن عبد الله. زار المدينة المنورة وأعجب بالمسجد النبوي وفوانيسه. ثم عاد إلى مكة وبقي فيها أسبوعين. وقابل الشريف بالطائف وأكرم مثواه على أساس أنه عميل سياسي لفرنسا. وبحلول موسم الحج عاد إلى مكة. وكانت تراوده فكرة التحول إلى الإسلام لكنه بقي على دينه حتى وفاته. وفي جبل عرفة تعرف عليه بعض الجزائريين فصاحوا: «النصراني.. النصراني» وشعر أن نهايته قد اقتربت. وإذا ببعض الجنود يقبضون عليه ويقيدونه. ثم يضعونه على ظهر جمل. وعرف أخيرًا أن أولئك الجنود هم من حراس الشريف وبعثهم لتخليصه.

الرحلات الموضوعية:

وهي رحلة مجموعة من المستشرقين بدوافع علمية للتعرف على الحج. والأراضي المقدسة. فمنطلق هؤلاء الإيمان بمبدأ « إن ما يبنى على الحقائق الموضوعية والمعلومات الحقيقية من برامج سياسية أو اقتصادية. هو ما يوثق بنجاحه» .

ومن قام بهذه الرحلات العالم الدنماركي كرستين نيبور. فقد وصل إلى جدة في نهاية عام ١١٧٦هـ الموافق ١٧٦٢م مع فريق علمي. كلفه إمبراطور الدانمارك فردريك الخامس بدراسة الحياة الاقتصادية. والاجتماعية.والبيئية. والجغرافية للحجاز.وكانت كتابته عن بلاد الحجاز رائدة في مجال الاستكشافات العلمية. وقد دون في مذكرته ما يعبر عن استيلاء الغربي وتعاليه حيث يقول:« ذهبت إلى البلاد العربية. وأنا محاط بنظرة غربية متعالية. ودونية العرب.وأحكام مسبقة ...» ثم أنحى باللائمة على الأوروبيين بقوله: « نحن نصدر أحكاما مسبقة دون أن نعطي لأنفسنا فرصة التعرف على الآخر. والاطلاع على ثقافته».

والمستشرق الألماني إدوارد رابيل. فهو من المستكشفين الذين قدموا للعلم والتاريخ الشيء الكثير. وذلك من خلال استكشافه للآثار في مصر وبلاد النوبة والشام. والساحل الشرقي للبحر الأحمر. وسيناء وإثيوبيا. وكردفان. وبعد عودته من هذه الرحلات عكف على نشر مذكراته وأبحاثه التاريخية.

والمستشرق النمساوي محمد أسد. فقد اعتنق الإسلام. وألف عدة كتب أشهرها « الطريق إلى مكة حاجا». وبقي هناك خمس سنوات يتعلم أصول الدين والفقه.

والمستشرق البلغاري توفيان تيوفا. قضى ١٢ عاما لترجمة القرآن باللغة البلغارية. وبعد الانتهاء من الترجمة أعلن اعتناقه الإسلام. فهو المسلم الوحيد في أسرته التي بقيت على المسيحية الأرثوذكسية.

والرحالة جرمانوس عبد الكريم. كتب مذكرات رحلته باللغة المجرية تحت عنوان « الله أكبر» وتُرجم إلى عدة لغات. وكان سببًا لحث محمد حسين هيكل على الحج. ودعا زوجته للإسلام فأسلمت. وكتب عن الإسلام في بعض صحف أوروبا. ومن ضمن ما كتب « إني وأنا الرجل الأوروبي الذي لم يجد في بيته إلا عبادة الذهب والقوة والسطوة الميكانيكية تأثرت أعمق التأثير ببساطة الإسلام وعظمة سيطرته على نفوس معتنقيه... إن الشرق الإسلامي سيبقى مستوليًا على لبِّي بروحانيته. ومثله العالية. والإسلام حافظ دائما على مبادئه الداعية إلى الحرية. والإخاء. والمساواة بين أبناء الجنس البشري».

وهناك مجموعة جاؤوا إلى بيت الله الحرام كعبيد وأرقاء برفقة أسيادهم في رحلاتهم إلى الحج يخدمونهم. ومن ثم قاموا بتدوين مذكراتهم عن الحج وشعائره. وعن مكة والمدينة . فمنهم الحاج جون وايلد. فهو أول رحالة ألماني زار الحجاز. وكان ممن أسر وبيع في سوق النخاسة في إستانبول إلى تاجر مصري. فأخذه التاجر معه إلى القاهرة حيث بيع للمرة الثانية لتاجر من فارس أخذه معه لأداء فريضة الحج. يقول جون: «إن الحجاج الذين رافقهم عانوا في الطريق معاناة كبيرة. ومات منهم عدد عظيم. ونفق من الجمال أعداد لا تحصى». وقدر عدد حجاج مصر وسورية واليمن بأربعين ألف حاج.

من معالم التجديد في الدراسات القرآنية
التفسير المنير مثالا

بقلم الدكتور أحمد على سليمان

جمهورية مصر العربية

يُعدُّ كتاب (التفسير المنير ومعالجة قضايا المجتمع من خلال القرآن الكريم) لفضيلة الدكتور عمر مختار القاضي قراءة تجديدية منضبطة لكتاب الله الخالد. والدكتور عمر القاضي الذي انتقل إلى جوار الله في ١٢ ربيع الآخر الماضي عمل عضواً في هيئة التدريس بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر، وخبيرًا بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسسكو)، وعضو المكتب الفني برابطة الجامعات الإسلامية. وهو حاصل على دكتوراه الدولة في القانون المقارن بالشريعة الإسلامية: من كلية الحقوق جامعة باريس ١٩٨٤م.

وقد ترك الدكتور عمر طروحات تجديدية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية في مجالات عديدة. ولعل كتاب (التفسير المنير ومعالجة قضايا المجتمع من خلال القرآن الكريم) الذي أخذ من عُمُر الدكتور عمر القاضي عشر سنوات، من العلامات المضيئة في الدراسات القرآنية الحديثة. وتكمن أهميته في أنه يشرح أحكام القرآن في ضوء قضايا الإنسان المعاصر، ويهتم بمعالجة الشكوك التي تشوش فكر غير المسلمين عند الاطلاع على بعض آيات القرآن الكريم، ويدحض الشبهات التي يثيرها الجاهلون بحقيقة الإسلام. وقد جمع فيه ١٨٥ قضية من القضايا التي يثيرها الغرب ضد الإسلام وعالجها بالعقل والمنطق والمنهجية العلمية، الأمر الذي أسهم في إقبال كثير من الباحثين في الغرب على دراسة الإسلام وإجلاله واحترام رسوله (صلى الله عليه وسلم)، ويبرز أيضا الدلالات العلمية والبراهين المثبتة لصدق النبوة.

لقد ناقش هذا التفسير - الذي كنت شاهدا على شتى مراحل تجهيزه وطباعته ونشره - مسائل عقدية واجتماعية وفلسفية وتشريعية بالمنهج العقلي الذي يقبله المسلمون وغير المسلمين، وعالجها ليس في حدود ما تستسيغه ثقافة المسلم المعاصر فحسب، ولكن في إطار أفق واسع يسمح لعقلية غير المسلمين في الشرق والغرب باستيعاب حلول تلك القضايا، وما يتعلق بها من تفسيرات وشروح، وبذلك حقق هذا التفسير -إلى حد بعيد- ما طمح إليه مؤلفه من تقديم فكرة جلية عن الإسلام بعيدًا عن كل خلط والتباس من خلال (القرآن الكريم).

ومما يسترعي الانتباه في هذا التفسير أنه اهتم بعرض الشبهات المعاصرة وعالجها في حيز مستقل حتى لا تختلط بتفسير النصوص، ذلك لأن القضايا ومعالجتها تعبِّر عن فكر إنساني، بينما تفسير النصوص أقرب إلى بيان إرادة المشرِّع ومقاصده، وتبدو قيمة هذا العمل أيضًا في إيجازه مع عمق ما يحمله من أفكار وإيضاحات وشروح. فقلم المؤلف لم يتعرّض بالشرح إلا لما كان بحاجة إلى تفسير من كلمات وآيات، وهكذا خرج التفسير في حدود ٦٠٠ صفحة، وهو حجم نموذجي يتناسب مع متطلبات القارئ المعاصر من مختلف المستويات الثقافية، فيكون مؤهلا في المستقبل إلى الترجمة باليسر المناسب للدعوة إلى فهم الخطاب القرآني، لينقل ما يحمله من شروح وإيضاحات وأفكار إلى المجتمعات المسلمة غير الناطقة بالعربية، وإلى المسلمين وغير المسلمين في المجتمعات الغربية التي حرص الكاتب

على أن يوليها رعاية خاصة في مجال عرض العلوم الشرعية والمعرفة الإسلامية.

ويسرني أن أقدم للقارئ الكريم نماذج من الموضوعات التي تناولها صاحب التفسير المنير في تفسيره.

١- (الم)، هذه الآية وشبيهاتها من فواتح السور، ليس لنا علم قاطع بتأويلها، ولكنها مع ذلك لها فائدة كبيرة للناس، حتى من كان منهم من ذوي الفهم المحدود، إذ لم يعهد الناس في أي زمان ومكان أن يجيئهم من يخاطبهم فيبدأ الخطاب بكلمة أو عبارة غير مفهومة للمُخَاطَب، ثم يأتي من بعدها بكلام غاية في الحكمة والهداية والرشد، فإذا سأله الناس عن تلك البداية غير المفهومة، فقال إنه لا يعلم - وربما يكون مأموراً بعدم الإفصاح - فإن ذلك يعد دليلاً على صدقه، وأن هذا القرآن ليس من تأليفه، إنما هو بلاغ من الله، ولم نعهد في البشر قبل محمد ولا بعده من يجرؤ على بدء الكلام (البلاغ) بعبارة غير مفهومة للمستمعين، ففي ذلك مجازفة كبيرة تُعَرِّضُ شخصه للازدراء والسخرية من الناس، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على ثقة بأنه كلام الله، وأن الله يحفظ له مكانته.

وتسمى هذه الآيات وأمثالها بالمتشابهات، وقد بين لنا الله ذلك فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أي نصدقه كما هو، دون شرط علم بمعناه، لثبوت وروده من عند الله، وكفانا بقية آيات القرآن مليئة بالمعاني والحِكَم: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ٧).

٢- الدعوة والإنذار بالآخرة

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة البقرة: الآية ٦).

هذه الآية إخبارية، تفيد أن الله هو العالم بالمؤمنين والكافرين، وهو الذي يتوفى الأنفس ويحاسبها وفقاً لعلمه بها، ولا تعني الآية التوقف عن دعوة الناس إلى الهداية، لأن الداعية لا يعلم بحقيقة الناس وما يدور في أنفسهم لا في الحال ولا في المآل، والذي يعلم ذلك هو الله، وليس لنا إلا الظاهر، والمقصود بالذين كفروا في هذه الآية هم الذين علموا برسالة الإسلام ومضمونها ثم أنكروها ورفضوا اتباع ما جاء بها.

الإنذار: أوله: إنذار بوجود الله ووحدانيته، وثانيه: إنذار بوجوب طاعة الله فيما أمر به من أحكام، ومن لم يُؤثّر في نفسه الإنذار الأول فلن ينفعه الإنذار الثاني، فسواء عليه أأنذرته بالتزام أحكام الدين أم لم تنذره لن يفيده ذلك شيئاً، ما دام على كفره.

والآية تحمل أيضاً خطاباً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - والدعاة من بعده - بأن يتجنب الإلحاح الشديد في الدعوة، فأداء التبليغ الذي فرضه الله تعالى عليه، وعلى أمة الإسلام من بعده فرض كفاية بقوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥) يجب عليه أن يتوجه بالدعوة إلى قوم آخرين... ويجب ألا يفهم من الآية إعفاء المسلمين من واجب الدعوة، فهي واجبة عليهم في إطار فروض الكفاية.

ويجب على كل من يدعو إلى دين الله أن يعلم أنه لا يستطيع التيقن ممن تنطبق عليهم هذه الآية ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ...﴾ فمن الناس مَن لا تؤثر فيهم الدعوة بتاتاً، وهؤلاء لا يعرفون إلا بعد موتهم على الكفر، ومن الناس من تؤثر فيهم الدعوة فيؤمنوا بعد فترة من العمر طالت أم قصرت، وتتبدل أحوالهم من معاداة الإسلام إلى نصرته، فيجب على الداعية أخذ هذه الأمور في اعتباره.

٣- القرآن معجزة:

يقول الله تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ» (سورة البقرة: الآية ٢٣)، وهذا التحدي من الله يبين إعجاز القرآن وقد نزل بالعربية لفظاً ومعنى على الرسول بواسطة المَلَك «جبريل»، (عليهما الصلاة والسلام)، عجز الجميع منذ نزول القرآن وحتى اليوم عن أن يأتوا بسورة مثل سور القرآن من حيث بلاغة الأسلوب وحكمة المعنى.

وترجمات نصوص القرآن لا تسمى قرآناً وإنما هي ترجمات لمعاني القرآن، فالإعجاز البياني مخاطب به كل من له دراية باللغة العربية، أما المطلع على ترجمات معاني القرآن الكريم فهو مخاطب بالحكمة والموعظة التي تحملها إليه هذه الترجمات، وليعلم أن البشرية بأسرها في عصرنا الحاضر لا تحوز رسالة نزلت من السماء تصلح أن تكون مرجعاً للعلم بالدين سوى القرآن، إذ إن ما نزل على موسى وعيسى (عليهما الصلاة والسلام)، وغيرهما، هي رسالات صحيحة في حقيقتها، ولكنها فقدت مدوناتها الأصلية التي كتبت في عهود هؤلاء الرسل، وإنما جاءت مضامينها عبر القرون اعتماداً على النقل الشفاهي والكتابات الإنسانية، ولا بد وأن يصيب تلك المضامين انحراف عن الأصل، ولو فرض أن عثر على مدونات لرسالات قديمة دونت في عهد موسى أو عيسى (عليهما السلام)، فهي لا تصلح لأن تكون مرجعاً لأن لغتها الأصلية قد انقرضت أو أصابها تبدل جذري.

٤- قضية مضمون الرسالات السماوية كلها واحد

وهل يعذر الإنسان بجهله التوحيد وميله إلى الشرك؟ ﴿إِنَّ

الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة البقرة: الآية ٦٢).

إن الإيمان مرتبط بوصول الرسالات السماوية والعلم بها، والرسالات كلها ذات مضمون واحد من حيث الأسس العقدية والإيمانية، وقد تتابعت في نزولها من حيث الزمان، بسبب تحريف مضمون النصوص والأحكام، وعلى الإنسان اتباع الشريعة الأحدث في النزول مع الإيمان بالشرائع السابقة. ولقد تعددت الرسالات من حيث المكان لصعوبات الاتصال في العهود القديمة، فقد كان إبراهيم ولوط، عليهما الصلاة والسلام، متزامنين في حقبة واحدة من الزمان، وكل منهما مرسل لقوم مختلفين من حيث الموطن.

وعلى ذلك فإن من مات من قوم فيهم رسول وهو مؤمن به وبالرسالة، فهو عند الله مؤمن أيا ما كانت تسميته العرفية نصرانيًا كان أو يهوديًا. ومن ورث إيمانًا برسالة محرفة دون أن يدركه العلم بحقيقة رسالة التوحيد ومات على ذلك، فمثله مثل أهل الفترة، وهؤلاء قال فيهم الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥). أما الكافر من قوم الرسول وفي عهده، فهو غير معذور بجهل التوحيد. (أما في العهود التي خلت من الرسل، فالعامة من الناس يتلقون العلم من رجال مسؤولين عن الدين، فإذا ما حرف هؤلاء مضمونه، فعليهم الوزر، والناس يُسْألون في حدود ما وصلهم من العلم بهذه الحقائق).

وللإلحاد وضع مختلف، ذلك لأن نفس الإنسان فُطرت على الإيمان بوجود الخالق، ولا يصل الإنسان إلى الإلحاد إلا بعد جهاد تلك الفطرة، وفطرة الإيمان تلح على الملحد من حين إلى حين، فهي لا تموت، وإن كان وقعها في النفس يضعف عنده وبفعله. لذلك تجد الملحدين قلة في كل مجتمع، وهم أكثر الناس شراً. ولا يوجد ملحد إلا وهو يعلم ماذا تعني كلمة الإله والخالق. ولوجود المخلوقات دلالة قطعية وإعجازية على وجود الله، سواء ما كان من هذه المخلوقات صغيراً كالجراثيم والحيوانات، أو كبيراً كالسموات والأرض.

٥- كتمان العلم:

قال الله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ» (سورة البقرة: الآية ١٤٠). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار» (الترمذي، باب العلم).

ولا خلاف في أن كاتم الشهادة ظالم، لأن الشهادة ترتبط بالحقوق والعدالة.

العلم والشهادة: العلم أعم من الشهادة، فالعلم معرفة تشمل ما هو يقيني ملموس، فذلك من قبيل الشهادة التي يأثم من يكذبها عمدًا، فهي حصيلة ما نتعرف عليه بالحواس من بصر ولمس وذوق وشم، ومنه ما هو قطعي غير ملموس، كمعرفتك بالله والرسل والرسالات، وكل رسول حمل معه أدلة وبراهين على صدق رسالته.

والعلم يشمل أيضًا حصيلة المعرفة التجريبية ومنها العلوم الطبيعية من كيمياء وفيزياء، ويشمل العلم أيضًا حصيلة المعرفة الظنية، وهي درجات، منها استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية وتفسير الآيات، والفهم الإنساني للنصوص هو علم ظني يعتمد على فهم الخطاب وترجيح العقل... وهو لازم في الحياة الدنيا.

أما حصيلة المعرفة الظنية العشوائية دون الاعتماد على قرائن وبراهين فلا تسمى علمًا وإنما هي الشكوك والظنون التي قال الله فيها: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾(النجم:٢٣) فالظنون تجر عادة إلى الآثام والانحراف، لذلك حذر الله منها كل الناس حتى المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات: ١٢).

النهي عن كتمان العلم:

يقاس على النهي عن كتمان الشهادة، النهي عن كتمان العلم النافع. وإن أنفع العلوم هي علوم الدين، يقول الله سبحانه وتعالى: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ» (التوبة: ١٢٢). ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين...» (البخاري، العلم)، وفهم الدين يؤدي إلى النجاة في الآخرة.

ويقاس على علوم الدين العلوم النافعة في الدنيا، كالطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والرياضيات...إلخ. فعلوم الدنيا النافعة تساعد على التعمق في فهم الدين. وكل ذلك يخدم الإنسان ويوسع مداركه ويرتفع بضميره إلى مرتبة عالية، فَيَرْشُدُ ويرشد غيره ويعم الخير والصلاح.

وهكذا ركز التفسير على عرض القضايا الإيمانية والفكرية والاجتماعية المهمة التي قد يُستغلق فهمها على القارئ غير المتخصص في علوم الإسلام، مبرزًا تلك القضايا والشبهات التي تثار، وعمد إلى تحليلها وتفكيكها ورفع ما قد يلتبس على الفهم، وتبديد ما قد يشوب الفكر من شكوك كما رأينا في النماذج التي سقناها للقضايا، مستهدفًا تبسيط الشروح والمفاهيم القرآنية حتى تكون ميسورة للمسلمين الجدد ولغير المسلمين ولعامة القراء، وأبان التطبيقات العملية للأحكام الفقهية على ضوء ظروف الحياة المعاصرة، والبراهين التي ساقها التقدم العلمي في حياتنا المعاصرة؛ لتكون شاهدة على صدق آيات كتاب الله العزيز.

علماء أعلام من الصين في خدمة الإسلام (٣/٣)

الشيخ محمد مكين

1906—1978م

بقلم: عبد الله يونس ماتشينغ

يقول الأستاذ محمود شمس الدين تشانغ تشيهوا الصيني عند تأريخه للشيخ محمد مكين: «يعتبر الأستاذ محمد مكين من أكبر العلماء المسلمين وأشهر الأساتذة المستعربين في تاريخ الصين الحديث. ولد في أسرة من قومية هوي في قرية شاديان بإحدى ضواحي مدينة قجيو في مقاطعة يونان. والتحق في سن مبكرة بمدرسة تشنغدة المتوسطة بكونمينغ عاصمة المقاطعة. ثم رحل عن بلدته إلى قويوان في مقاطعة نينغشيا الواقعة في شمال غرب الصين، حيث تتلمذ على يد إمام ذائع الصيت ليتعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية. وفي عام ١٩٢٩م وصل إلى شانغهاي، أكبر مركز تجاري، وأعظم ميناء بحري على الساحل الجنوبي الشرقي للصين، حيث التحق بدار المعلمين المسلمين بشانغهاي، التي واصل فيها دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية إضافة إلى اللغة الإنجليزية، حتى أنجز مهمته بتقدير ممتاز في سلوكه وعلمه عام ١٩٣١م. ثم سافر في ديسمبر من نفس العام إلى القاهرة في أول بعثة صينية أوفدها إلى مصر مجمع الدراسات الإسلامية في الصين، حيث درس في جامعة الأزهر أربع سنوات، وحصل بعدها على شهادة الدراسة التمهيدية، ثم انتقل إلى دار المعلمين في القاهرة، وتخرج فيها عام ١٩٣٩م.

وفي عام ١٩٤٦م بدأ عمله أستاذا ورئيسا لقسم اللغة العربية في كلية اللغات الشرقية في جامعة بكين. وفي عام ١٩٤٩م اختير عضوًا للمجلس الاستشاري السياسي للشعب الصيني، ثم انتخب نائبا بالمؤتمر الوطني لنواب الشعب منذ دورته الأولى حتى دورته الخامسة ابتداءً من عام ١٩٥٤م حتى آخر أيام حياته. وقد كان أحد الدعاة لإنشاء «الجمعية الإسلامية الصينية»، وعضوا باللجنة الدائمة لهذه الجمعية بعد إنشائها.

كان الأستاذ محمد مكين متقنا للغتين الصينية والعربية ومستوعبا ثقافتيهما، ومتقنا للغتين الفارسية والإنجليزية.

كان واسع الاطلاع، وضالعا في العلوم، ودقيقا في بحثه، وقد أفنى حياته في خدمة قضية البحوث الإسلامية، وتعليم اللغة العربية. ولم يكتف الأستاذ محمد مكين بإجادة التدريس الجامعي، وإعداد الكفايات؛ بل بذل مجهوداته للقيام بالدراسات الإسلامية، والعلمية، والحضارة العربية، والإسلامية، والتأليف، والترجمة طيلة حياته مما خلف وراءه عددا كبيرًا من المؤلفات والترجمات، وأهمها ما يلي:

من أهم ترجماته من اللغة العربية إلى اللغة الصينية:

١. ترجمة معاني القرآن الكريم، وقد أمضى الأستاذ عشر سنوات في ترجمته، وقد صدرت طبعة أولى باللغة الصينية عام ١٩٨١م في دار النشر للشؤون التجارية، ثم صدرت الطبعة الثانية عام ١٩٨٦ في الكويت، وصدرت الطبعة العربية الصينية لها في المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٧ عن مطابع الملك فهد. إن ترجمة الأستاذ محمد مكين لمعاني القرآن الكريم تتميز بما هو يقرب إلى نصوصه في لغة تجمع بين الإيجاز والسلاسة وأساليب تفيض عراقة وعذوبة، إضافة إلى الدقة والأمانة في أداء المعنى، ولذلك لقيت إقبالا كبيرا، وتقديرًا عظيما من قبل المسلمين الصينيين، بصفتها أكبر ترجمة تأثيرا بين سائر الترجمات الشقيقة على وجه الأرض إلى الآن.

٢. عقائد الإسلام، ويسمى بـ «العقائد النسفية» لعمر بن النسفي، (كتاب التوحيد) مع شرح سعد الدين تفتازاني خرساني في حاشية الكتاب.

٣. رسالة التوحيد، للشيخ محمد عبده.

٤. الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، للشيخ محمد عبده.

٥. الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية للشيخ حسين جسر (١٨٤٥- ١٩٠٩م).

٦. تاريخ العرب، لفيليب حتي (Philip Hitti، ١٨٨٦-١٩٧٨).

٧. جزيرة العرب، للأستاذ مصطفى الدباغ.

٨. تاريخ الفلسفة الإسلامية، للمستشرق الهولندي دي بور، الصادر باللغة الألمانية سنة ١٩٠١م، وفي ترجمته الإنجليزية سنة ١٩٠٣م، وفي طبعته العربية سنة ١٩٣٨م.

ومن أهم مؤلفاته ومقالاته:

١. نظرة جامعة إلى تاريخ الإسلام في الصين وأحوال المسلمين فيها، تم إعداد هذا الكتاب باللغة العربية، وصدر في دار التراث للنشر بالقاهرة ١٩٣٤م.

٢. سيف محمد صلى الله عليه وسلم، بحث باللغة الصينية منشور في صحيفة النور اليومية في ١٩٥١/١/١٩ ونقلته صحيفة الشعب اليومية في ١٩٥١/١/٢٠.

٣. لماذا لا يأكل أبناء قومية هوي المسلمة لحم الخنزير؟، بحث باللغة الصينية منشور في صحيفة الشعب اليومية ١٩٥١/٣/٢٠.

٤. منهاج التقويم الهجري، تم إعداد هذا الكتاب باللغة الصينية، وصدر في دار المكتبة الصينية ببكين ١٩٥٥م.

٥. معجم العربية الصينية، بمشاركة زملائه وتحت إشرافه، وقد صدرت طبعة أولى في دار النشر للشؤون التجارية عام ١٩٦٦م.

ومن أهم تراجمه من اللغة الصينية إلى اللغة العربية:

١. الحوار، (أحاديث كونفوشيوس مع تلاميذه) (ط١): (القاهرة: دار الكتب القديمة، ١٩٣٥م).

٢. أمثال الصين القديمة، طبع ونشر بالقاهرة.

٣. الأساطير الصينية القديمة، طبع ونشر بالقاهرة.

تمتاز مؤلفاته وتراجمه بمستوى رفيع وقيمة عالية. وبما أن الأستاذ محمد مكين عالم متضلع من مختلف العلوم ومن اللغة العربية واللغة الإنجليزية خاصة فإنه علامة ثقة في علوم الدين، ولانتشار مؤلفاته وترجماته وسط المسلمين في أنحاء الصين ذاع صيته للداني والقاصي في الصين وخارجها، وحظي بتقدير واحترام المسلمين. وكان المسلمون في أرجاء البلاد يوجهون استفساراتهم عن المسائل الدينية التي يواجهونها إلى الأستاذ الذي كان يعطيهم الأجوبة الشافية في حينها. وفي الحقيقة كان يلعب دور «المفتي» وسط جماهير المسلمين في الصين.

وبفضل كفاءة الأستاذ العلمية وإسهاماته الجليلة في خدمة الإسلام، وتحليه بالخصال الحميدة المتمثلة في استقامته، وحماسته، وجده في العمل والبحث وحسن المعاملة صار قدوة الشباب المثقفين المسلمين ذوي التطلعات في يومه. وفي عام ١٩٤٩م حضر الأستاذ محمد مكين المؤتمر الوطني الأول للمجلس الاستشاري السياسي للشعب الصيني بوصفه مندوب المسلمين وانتخب عضوا لهذا المؤتمر.

وفي عام ١٩٥٢م شارك برهان الشهيد، والشيخ نور محمد دابو شنغ، والشيخ محمد تواضع بانغ شي تشيان وغيرهم من الشخصيات الإسلامية الشهيرة في الأعمال التحضيرية لتأسيس «الجمعية الإسلامية الصينية»، وانتخب عضوا دائما لهذه الجمعية.

ومنذ عام ١٩٥٤م انتخب الأستاذ محمد مكين مندوبا للمؤتمر الوطني لنواب الشعب من الأول إلى الخامس على التوالي.

وفي أيّام حملة «الثورة الثقافية» الطامة تعرض الأستاذ للنقد، والإهانة، والتعذيب، وحُلق شعره باعتباره «عالم ثقة العلم الرجعي»، كما تعرضت مؤلفاته، وتراجمه للنقد الباطل.

إلى أين تقودنا

السلوكيات الدوائية الخاطئة؟

بقلم: د. حذيفة الخراط - المدينة المنورة

للتعامل مع مادة الدواء أسلوب خاص يجب أن يَسْلكه منشد هذا الدواء، بغية تحقيق الفائدة المثلى المرجوّة منه. وتأتي الأخطاءُ الدوائية على رأس قائمة السلوكيّات الخاطئة في ممارسات مهنة الصيدلة، وهي مشكلة قديمة، وظاهرة نامية، كَثُرَت الشكوى من وقوعها في الآونة الأخيرة، نظراً لزيادة الأصناف الدوائية التي تَضخّها المصانعُ حول العالم سنوياً، ومن المعروف أن مصانع الأدوية تَضخّ في الأسواق كميات كبيرة من الأدوية، ويُقَدَّر حجمُ تداول الدواء في الوطن العربي بخمسة مليارات دولار سنوياً، وهذا يعادل قرابة ١٠ ٪ من الاستهلاك العالمي، ممّا يجعل الدواءَ في مقدّمة السّلَع المستهلَكة.

ويُعَرَّف الخطأ الدوائيّ Medication insult بأنّه حادثة تنتج عن إعطاء دواءٍ خطأ، أو تناوله بطريقة خاطئة، قد تَتَسبّب في إلحاق ضررٍ بالمريض، ويمكن تجنّبها إذا تمّ إعطاءُ الدواء الصحيح، للمريض الصحيح، بالطريقة الصحيحة.

وتتّخذ مشكلةُ الأخطاء الدوائية أشكالاً عديدة، ولها تَبِعاتٌ صحية مختلفة، وكثيراً ما تُسَبّب فَقْدَ أغلى ما يملكه الإنسان وهو حياته، ومن الممكن كذلك أن تُعَرّض أجهزةَ جسمه إلى التلف، أو إلى مضاعفاتٍ، أو عاهاتٍ دائمة، يعاني منها المريضُ بقية حياته، أو يَفْقد بسببها مَصْدرَ رزقه.

وتَذْكر بعضُ المراجع العِلْمية أنّ التعرّض للموت نتيجة ممارسة سلوكيّات صيدلانية خاطئة هو السبب الثاني للوفاة حول العالم، ويأتي بعد حوادث الطرق مباشرة. كما تُشير دراساتٌ متخصصة إلى أنّ الأخْذ بالأسباب، وبَذْل مزيدٍ من الجهود، قد يساعدان في الوقاية من حدوث نصف مليون حالة وفاة سنوياً، ناجّة عن تلك التصرّفات الخاطئة بصُوَرها المختلفة.

وتقع على عاتق المريض مسؤولية تنفيذ أوامر الطبيب عقب خروجه من المستشفى، وهو بذلك عنصر مهم في إنجاح الخطة العلاجية، وتحقيق الفائدة المنشودة من الأدوية الموصوفة. وثمة

قائمة طويلة من صُوَر الإهمال، والسلوكيات الخاطئة التي يرتكبها كثيرٌ مِن المرضى، ومن ذلك :

١- عَدَم التزام المريض بجرعة الدواء المحدّدة، وقد يَحدث ذلك نتيجة الإهمال، أو لعَدَم اقتناع المريض بجدوى العلاج. كما يعتقد بعضُ المرضى خطأً أنّ زيادة مقدار الدواء تُسَرّع في الشفاء، وزوال أعراض المرض، فيلجأ هؤلاء مثلاً إلى أخْذ قُرص إضافيّ من أقراص تسكين الألم، أو إلى زيادة عدد قطرات العين أو الأذن. وقد يَنسى آخرون تناولَ الدواء، فيأخذون منه جرعةً مضاعفة في موعدها القادم.

وتُخطئ بعضُ الأسَر في حساب جرعة الدواء السائل التي يُحدّدها الطبيبُ عادة بالمليلترات، فيلجأ هؤلاء إلى تقديرها باستخدام ملعقة الشاي، أو ملعقة الطعام، أو غطاء علبة الدواء، وقد يُسبّب ذلك إعطاءَ الطفل قَدْراً من الدواء يفوق حاجته، أو ينقص عنها. والصواب في حالاتٍ كتلك استخدام المحقنة (السرنجة) المرقّمة التي تُظهِر الجرعةَ المطلوبة بدقة.

وكثيراً ما يَنتج عن إهمال ضَبْط جرعة الدواء ظهورُ المزيد من الآثار الجانبية، والإصابة بالتسمّم الدوائي الذي يُسَبّب دخولَ مئات المرضى يومياً إلى أقسام الطوارئ في المستشفيات حول العالم.

وينقل الدكتور سليم العبد الله عن الباحث «ألكس دودو» قوله: «١٠ ٪ من الذين يتناولون الدواءَ الصحيح يموتون لعَدَم التزامهم بكمية الجرعة الموصوفة، أو بوَقْت تناولها». ووَفْقاً لإحصائيات الوكالة الفيدرالية للأدوية، فإنّ تسعة آلاف طفل يُنقَلون سنوياً إلى أقسام الطوارئ في المستشفيات، نتيجة تناول جرعاتٍ زائدة مِن دواءٍ واحد فقط، هو مُسَكّن السّعال.

وحقيقة الأمر أنّ جرعة الدواء التي يُحَدّدها الطبيبُ المعالج مَبنيّة على أُسُس عِلْمية، جاءت بعد دراساتٍ استغرقَتْ جهداً كبيراً. ويجب التقيُّد بهذه الجرعة، فلكلّ عُمْرٍ ووَزْنٍ حاجته الخاصة مِن الدواء، ولا مجال إذن للاجتهادات الشخصية في زيادة الجرعة الموصوفة، أو إنقاصها.

٢- يُهْمِل مرضى آخرون سؤالَ الصيدليّ عن الطريقة الصحيحة لتناول الدواء، وقد يجتهدون في تخمينها فيُخْطئون. ولهذا السلوك صُوَر عديدة، فكثيراً ما سَمِعنا عن مريض ابتلع أقراصاً بدل أن يضعها تحت لسانه كما هو مطلوب، وآخَر ابتلع أقراصاً يجب إذابتها في الماء واستنشاقها، وغيره ابتلعها بدل أن يمضغها، وما شابه ذلك.

ومِن أخطاء طُرق تناول الدواء أيضاً: بَلْع أقراصه مع الشاي، أو القهوة، أو العصير، أو مشتقّات الألبان، إذ يَنشأ عنه تفاعلٌ في المعدة بين تلك السوائل والأدوية المتناوَلة، ممّا يُضْعِف مادةَ الدواء الفعّالة، وقد ينتج عن هذا أيضاً موادّ جديدة مؤذية. والتصرّف الصائب لتجنّب ذلك هو تناول الدواء مع الماء.

ولبعض الأدوية غلاف خارجيّ يذوب بعد ابتلاعها، ممّا يؤدّي إلى تحرّر المادة الدوائية، وامتصاصها. وتقوم بعض الأمهات خطأً بإزالة هذا الغلاف، وإفراغ محتوى القرص في كأسٍ مِن الماء، أو العصير كي يبتلعه الطفل دون أن يشعر. وكثيراً ما يؤدّي ذلك إلى تأثيرات غير مرغوبة، كتغيّر خصائص الدواء، وإضعاف تأثيره المفيد في الجسم.

ومِن الأمّهات مَن يَقُمْن بكَسْر قُرص الدواء، اجتهاداً منهنّ في إعطاء الطفل جرعة أقلّ، بحجة أنّ ما يشكوه مِن أعراض ليس شديداً. وهذا سلوكٌ خاطئ تَضعُف معه المادة الدوائية، وتتغيّر فيه بعضُ خواصها الكيميائية.

٣- يُعَدّ سوءُ استعمال الأدوية ظاهرةً شديدة الخطورة، ومِن صُوَرها الشائعة: التعاطي غير الحكيم للمضادات الحيوية، الذي نَتَج عن قناعةِ كثيرٍ مِن العامّة بأنّ هذه الأدوية تفيد في علاج جميع الأمراض، فلَجَؤُوا إلى تَناولها عند الشعور بأيّ عَرَض طارئ. وقد أسهم توافُر المضادات الحيوية، وسهولة شرائها مِن الصيدليات دون وَصْفة طبية، في زيادة نسبة تعاطيها بين أفراد المجتمع. وتفاقمَت المشكلة بذلك، فظهرَتْ أجيالٌ مِن البكتريا والميكروبات المقاومة للعديد من المضادات الحيوية، ممّا جَعَل تلك الأدوية عديمة الجدوى في كثير من الحالات، ودَفَع هذا العلماءَ إلى محاولة تركيب أدويةٍ جديدة بين فَينة وأخرى.

٤- يخطئ مرضى آخرون، فيقومون بوَضْع ما يتناولونه مِن أدويةٍ مختلفة في علبة واحدة. ولهذا مساوئ عدّة، إذ قد يَنسى المريضُ تناولَ دواءٍ ما، فيأخذ غيرَه بدلاً عنه. وقد يُحْدث ذلك المزجُ بين الأدوية تفاعلاً بينها يُفْسدها، أو تَقلّ معه خواصّها الدوائية. والصواب إذن أن يبقى كلّ دواء في علبته الأصلية التي صُمّمَتْ وَفْق شروطٍ خاصة تَحْفظ ذلك الدواء.

٥- قد يتناول المريضُ دواءً ما، فيَظهر بسببه تأثيرٌ جانبيّ يُقلقه، فيُسْرع إلى استشارة أقرب طبيب. والخطأ الكبير هنا هو عدم إعلام هذا الطبيب عمّا يتناوله المريض من دواء، فيتمّ وَصْفُ دواءٍ جديد بغية علاج الأثر الجانبيّ الناتج عن الدواء الأول. وهكذا يدخل المريضُ في دوّامة وحَلقة مُفْرَغة. وكان يكفي لحلّ هذه المشكلة إعلامُ الطبيب عمّا يتعاطاه المريض مِن دواء، فيوقفه، ويقوم بوَصْف آخر بديل عنه.

٦- يَجْهل الكثيرون أنّ لكلّ دواءٍ اسماً عِلْميّاً تَذْكره به المراجع العِلْمية، وهو اسم موحَّد، يَعرفه جميعُ الأطباء والصيادلة حول العالم. كما أنّ للدواء أسماءً تجارية تختلف بين دولة وأخرى، إذ

يُمْكن كل مَصْنع للأدوية -إلى حدّ ما- أن يختار اسـم الدواء الذي يَصْنعه، ويطرحه في الأسواق. وقد يَظهر لدواءٍ واحد نتيجة ذلك عشرات الأسماء التجارية المختلفة حول العالم.

وقد يَتسبّب جَهْلُ المريض باسم دوائه في حدوث مشاكل كثيرة. ومثال ذلك: أن يَصِف الطبيبُ عقارَ «Ibubrufen» لعلاج آلام المفاصل، فيَصْرفه المريضُ من صيدلية المستشفى باسم «Brufen»، وقد لا تتحسّن أعراضُ المرض، فيلجأ المريضُ نحو صيدلية الحيّ بحثاً عن مُسَكّن ألم آخر، فيعطيه الصيدليّ دواءً باسم «Advil» ، وقد ينصحه صَديقه، أو جاره بتَناول دواء «Pofen» الذي جرّبه واستفاد منه. ولا يعلم المريضُ هنا أنّ ما تعاطاه مِن أدويةٍ مختلفة ما هو في الحقيقة إلا دواء واحد، تناوَلَه تحت مُسمَّيات تجارية مختلفة، فَتَعرَّض جِسمُه بذلك إلى جرعةٍ دوائيةٍ كبيرة، قد تُلحق به الضررَ.

ومِن الأمثلة الأخرى عن اختلاف أسماء الأدوية التجارية بين الدوَل: مُسَكّن الألم المعروف (Paracetamol) الذي يتوافر في الأسواق المحلية والعالمية تحت أسماء تجارية كثيرة، تختلف بين دولة وأخرى، ومنها على سبيل المثال: (Adol، وPanadol، و Cetamol ، وFevadol، و Beserol، وCalpol، و Dafalgan، و Dolomol) وغير ذلك.

ويَتهاون بعضُ المرضى في أخْذ حاجتهم مِن الأدوية في أثناء سفرهم. وحُجَّتهم في ذلك أنه يمكن شراؤها من أيّ مكان. إلا أنّ الخطأ الذي يَقَع هنا أنّ هؤلاء يحفظون الأسماءَ التجارية لأدويتهم، وهي كثيراً ما تختلف بين دولة وأخرى، وقد لا يَعْرف الصيدليّ الدواءَ المطلوب، فيبقى المريضُ دون دواءٍ حتى يعود إلى بلده، وهذه مشكلة كبيرة، إذ تحتاج الأمراضُ المزمنة -كارتفاع ضَغْط الدم، والداء السكريّ مثلاً- إلى تناول أدويتها بصورة منتظمة، ولا يَحتمل الأمرُ إيقافَ الدواء، أو فوات جرعةٍ منه.

وتقتضي الحِكمة للوقاية من هذه المشكلة أن يَحفظ المريضُ الاسمَ العلميّ لما يتناوله مِن أدوية، تَحَسّباً لأيّ طارئ، كأن يضطرّ إلى شراء دوائه من مكانٍ خارج بلده.

٧- من سلوكيات المرضى الخاطئة الشائعة: إيقافُ تناول الدواء عند تَحَسُّن أعراض المرض -كانخفاض درجة الحرارة المرتفعة مثلاً-، أو بحجّة تخوّفهم من ظهور تأثيراته الجانبية. ويُلْحِق هذا التصرفُ غير الحكيم الضررَ بالصحّة، إذ تحتاج معالجة ما نَزَل بالجسم من مَرض مدّة علاجٍ خاصة، يُحدّدها الطبيبُ والصيدليّ. ويؤدّي إيقافُ الدواء المفاجئ هذا إلى انقطاع سَير العملية الفسيولوجية التي بدأها، وفي ذلك أذى لأجهزة الجسم المختلفة.

والمضاد الحيويّ -على سبيل المثال- من الأدوية التي يؤذي الجسمَ إيقافُها دون أن تكتمل جرعتها، إذ يؤدّي ذلك إلى عدم القضاء على كامل الميكروبات المسبّبة للمرض، ممّا يعني تكاثرها من جديد بأعدادٍ أكبر، وظهور أجيال أخرى لا تُجْدي معها المضادات الحيوية التقليدية نفعاً.

٨- مِن المرضى مَن ينتهي دواؤه، فيُكرّر صرفَه من الصيدليّ دون الرجوع إلى الطبيب، بحجة أنّ الداء معروف، والدواء موصوف. وهذا خطأ شائع بين الكثيرين، فالعديد من الأمراض يستدعي تغييرَ خطة العلاج، وتناوُلَ أدوية جديدة. ويؤذي الجسمَ تكرارُ ما وُصِفَ من أدويةٍ لعلاج الداء من غير استشارة الطبيب، وقد يُسبّب ذلك أيضاً تسمّماً دوائياً، وظهورَ أعراض التأثيرات الجانبية، بالإضافة إلى إدخال دواءٍ في الجسم لا طائل يُذكر منه.

٩- يُعَدّ تواصلُ المريض مع طبيبه، وإعلامه بما يستجدّ في مَرَضه أمراً بالغ الأهمية. وتقتضي الحكمةُ إخبارَ الطبيب والصيدليّ بجميع ما يتناوله المريضُ مِن أدوية قبل وَصْف غيرها، وقد يؤدّي إهمال ذلك إلى إعطاء عقاقير جديدة تعاكِس تأثيرَ ما يستعمله المريضُ، ومن ذلك مثلاً ما يَحدث من الجمْع بين أقراص الأسبرين وأدوية داء السكّر، إذ يُقلّل كلّ منهما تأثيرَ الآخر في الجسم. ويَظهر الأثر نَفْسه إن جَمَع المريضُ مثلاً بين تناول مسكّنات الألم ومضادّات الاكتئاب.

١٠- من الأخطاء الشائعة في الكثير من المجتمعات: قيادة المرْكَبات عقب تناول الدواء، وتجاهُل ما قد يظهر له من آثار جانبية في الجسم، وهو أمْر بالغ الخطورة، وكثيراً ما نتجت عنه كوارث وحوادث أليمة.

ويجب - في حال الرغبة في القيادة- تجنّب تناول الأدوية التي تُسَبّب النعاس، أو خلل الرؤية، أو عدم التفريق بين الألوان، أو الشعور بالدوار، أو الصداع، أو الغثيان الذي يُقلّل تركيزَ قائد المركبة. وعلى الطبيب والصيدليّ إيضاحُ ذلك للمريض قبل الشروع بتناول الدواء.

١١- تُعَدّ الصيدلية المنزلية، وما تَضُمّه مِن أدويةٍ مختلفة سلاحاً ذا حدَّين، ويجب أن تنال حقَّها الكامل من الرعاية والاهتمام. ولهذا الحقّ صُوَرٌ مختلفة، كالحرص على نظافة هذه الصيدلية، ووَضْعها في مكانٍ جاف وبعيدٍ عن أشعة الشمس المباشرة، وذي درجة حرارة معتدلة. وينبغي ترتيبُ مفردات تلك الصيدلية؛ لتسهيل الوصول إلى ضالّتنا منها بسرعةٍ وقْت الحاجة، ومراجعةُ محتوياتها باستمرار، للتخلّص مِن الأدوية التي انتهَتْ صلاحيتها، كي لا تختلط بالدواء الجديد فتُفْسِده.

وتَدُلّ على فساد الدواء في المنزل علاماتٌ مختلفة، ولا تُعَدّ مدّة الصلاحية المعيارَ الوحيد لذلك، فأيُّ تَغَيّرٍ يَطْرأ على خواص الدواء

قد يكون دليلاً على فساده، كتغيّر لونه، أو مذاقه، أو رائحته، أو انتفاخ علبته مثلاً. ومن أكبر الخطأ الاستمرارُ في تَناول دواءٍ كهذا، رغم ما يَظهر مِن علامات فساده، تحت ذريعة أنّ نهاية صلاحيته لم تَحِن بعد.

ويجب القضاء على الأدوية المنزلية الفاسدة وَفْقَ الطرُق السليمة التي لا تُسَبّب الأذى لأحَد، ولا تُلْحِق الضررَ بالبيئة، أو الكائنات الحية. فمِن الخطأ رَمْي الأدوية في مكانٍ مكشوف، يَسْهل وصولُ الأطفال إليه، ومن الخطأ أيضاً إلقاءُ تلك الأدوية في مَصْرف الحمّام الصحيّ، ممّا يُسَبّب تَلوّثَ ماء الجاري بمادة الدواء التي قد تُسَمّم ما يُرْوَى بهذا الماء من نباتات، أو ما يَشْرب منه من حيوانات.

والطريقة الفُضلى للتخلّص مِن أدوية المنزل هي رَمْيها بعُلْبتها المغْلَقة، وحبّذا أيضاً إعطاءُ هذه الأدوية إلى المستشفيات، إذ إنّ لها وسائلها الخاصّة لإتلاف الدواء بطرُقٍ آمنةٍ سليمة، كدَفْنه وَفْق ظروفٍ خاصة في أماكن معدّة لهذا الغرض.

١٢- كثيراً ما يقوم المريضُ بعد تماثله للشفاء بشَرح أبعاد تجربته المَرَضية، ووَصْف ما تناوله مِن أدويةٍ لمرضى آخرين، بحجّة أنّها مجرّبة، وذات نتائج مضمونة، ولا سيّما إن تشابهَتْ بينهم أعراضُ المرض. وقد تَرِد على لسانِ هذا المريض عبارات شائعة مثل: «اسأل مجرّباً ولا تَسأل طبيباً»، أو: «لِمَ تَذهب إلى الطبيب وتخسر مالَك؟ جَرّب هذا الدواء، ولن تخسر شيئاً، وأنا مسؤول عن النتائج»، وغير ذلك مِن العبارات التي جَعَلَت الأمرَ ظاهرة اجتماعية دَلّتْ على قلّة الوعي الصّحي.

وقد يؤدّي هذا السلوكُ الخاطئ إلى حدوث كوارث صحية، تَنتج عن تسمّم المريض بالدواء الذي تَناوله دون إعلام الطبيب أو الصيدليّ، أو ظهور تأثيراتٍ جانبية خطيرة في جسمه.

١٣- هناك مِن المرضى مَن يُفَضّل اللجوءَ إلى ما يُعْرَف بالطبّ الشعبيّ، واستخدام ما فيه من وصفات وأعشاب ونباتات قد تُلْحِق الأذى بأجسامهم. ويزهد هؤلاء بتوجيهات الطبيب والصيدليّ، ويَرمون بها عُرْضَ الحائط، ويَعتقدون بصواب ما يَفعلون، وأنهم بذلك يَحمون أجسامَهم من تأثيرات الأدوية، وما تحويه بزَعْمهم من موادّ كيميائية ضارة.

وقد أدّى هذا السلوكُ الخاطئ إلى ازدهار سوق وَجَد فيها الكثيرُ مِن الدّجّالين وزَعَمة العلم ضالّتهم المنشودةً في جَنْي المال وَفْق طُرُق غير مشروعة. وظَهَر في الساحة مَن أخذ يُفْتي في شؤون الصّحّة والمرض ممّن لا باع لهم بذلك، ممّا نَتَج عنه تَعَرّض الكثيرين إلى التسمّم بوَصْفات هؤلاء، التي تَستخدم أحياناً الأعشابَ والنباتات ذات المصادر المجهولة، فتُؤذي الجسمَ إن أُخِذَتْ دون حِكمةٍ أو رقابة، رغم ما في بعضها من فوائد علاجية ثابتة.

١٤- مِن المرضى كذلك مَن يلجؤون إلى شراء بعض الأدوية عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، ودافِعُهم إلى فِعْل ذلك رخْصُ ثمنها، واعتقادُهم بأنّها أجود ممّا هو متاح في صيدليّات بلادهم. وتُشير تقديرات المسؤولين الحكوميّين إلى أنّ قرابة (٣٣٠) ألف شخص يشترون سنوياً أدويةً بهذه الطريقة، وأنّ أكثر من نصف تلك الأدوية مجهول الهوية والمصدر.

وقد غاب عن علْم هؤلاء أنّ الشبكة العنكبوتية مليئة بآلاف المصادر غير الموثوقة التي تُدير تجارةً عالمية ضخمة مِن الأدوية المقلَّدة والمزيّفة والمغشوشة، والتي تمّ تغيير علامتها التجارية، وبلد منشئها، وحتى تاريخ صلاحيتها.

وتَتَحكَّم هذه التجارة المشبوهة بأكثر من ١٠ ٪ مِن سوق الدواء العالميّ، وتجني أرباحاً تفوق (٣٠) مليار دولار سنوياً، وقد نَجَحَتْ في غَزْو أسواق البلدان الفقيرة التي وَصَلَتْ نسبةُ الأدوية المزيَّفة في صيدلياتها إلى أكثر من ٢٥ ٪.

ختاماً فإنّ ما ذُكِر مِن ضروب السلوكيات الدوائية الخاطئة ما هو إلا غيض من فيض، وما تلك إلا أمثلة قليلة مِن كثير غيرها يشهده الواقع في كل يوم، وما أجدر بمجتمعنا أن يُعيد حساباته من جديد، وأن يُتْقن المريض فيه فنَّ التعامل مع مادة الدواء، فهو بذلك الرابح الأكبر.

معالم مسجد « تشيرمان»

طراز معماري فريد يحمل عبق الحضارة الإسلامية

الهند - كيرالا: منصور محمد

لا يمكن أن تزور ولاية كيرالا (مليبار) الهندية، ذات الطبيعة الساحرة، دون أن تتوقف عند مسجد تشيرمان. وما إن تتهادى قدماك باتجاه باب المسجد حتى تسكنك الطمأنينة وراحة النفس؛ لم لا وكل شيءٍ هنا داخل المسجد وخارجه يعيدك إلى العصر الإسلاميِ الأول، ويذكرك بعبق عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، حينما عرفت هذه الولاية العريقة الإسلام. يدل على ذلك حديث لأبى سعيد الخدري قال: «أهدى ملك الهند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة، فأطعمني منها قطعة».

ويُعتقد أن الملك المذكور في الحديث هو شيرمان فرمال- Cheraman Perumal الذي ترك سلطنته بـ (مليبار - كيرلا) ورحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع تجار العرب واعتنق الإسلام وسُمِّي أبو بكر تاج الدين، فلبث هناك مدة ثم خرج في جماعة من الدعاة إلى بلاده ولكن وافته المنية في الطريق.

ويحكى أن ملك مليبار شيرمان فرمال قد شاهد انشقاق القمر الذي وقع في مكة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، فاستفسر عنها كهانه أولا فلم يجد عندهم جواباً شافيًا، ثم لقي تجار العرب الذين كانوا يعتادون العبور على ميناء مُسرس - كدنغلور- مليبار- كيرالا فأخبروه بحقيقة الأمر، فترك السلطنة لوارثيه وارتحل إلى الحجاز و اعتنق الإسلام بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وفى التفاصيل أن الملك كان قد خرج إلى مليبار ومعه الصحابي الجليل مالك بن دينار وأربعة عشر من أصحابه، رضي الله عنهم، ولكنه ابتلي بمرض شديد في طريقه إليها (بمنطقة ظِفَار- صَلَالة - في دولة عمان) وتوفي بها. وقد أوصى إلى أهله بمليبار في رسالة أرسلها إليهم (على يد مالك بن دينار وأصحابه رضي الله عنهم)، أن يساعدوا هذه الجماعة التي تقصد دعوة الإسلام في البلاد.

وقصد مالك بن دينار وأصحابه، رضي الله عنهم، منطقة كدنغلور- وهى ميناء قديم كان معروفا عند العرب وأمثالهم من التجار وفوضوا رسالة شيرمان إلى المسؤولين فوعدوهم بالنصر والمساعدة، وكان من أول ما صنعوه في مليبار تأسيس أول مسجد فى الهند بني فى مدينة كدنغلور عاصمة ولاية كيرالا الواقعة على شاطئ بحر العرب في ساحل الهند الغربي المواجه

لجزيرة العرب في عام ٧٠١م.

ويقول المؤرخون إن رسالة من الرسول قد وصلت إلى ملك كدنجلور (شيرمان برومال) في عام ٨ هـ. وسافر هذا الملك إلى مكة للقاء الرسول محمد، ثم وصلت جماعة من المسلمين العرب تحت زعامة (مالك بن دينار) إلى بلاد كيرالا التي كان يطلق عليها المؤرخون العرب اسم - مليبار- لنشر الدعوة الإسلامية. ونزلت هذه الجماعة في كدنجلور أولاً ثم طافت بأنحاء البلاد تدعو إلى الإسلام وتنشر مبادئه، وتعاليمه بين الناس وتبني المساجد والمعاهد الدينية. وبمرور الزمن بنى مالك بن دينار أحد عشر مسجداً في أنحاء كيرالا ، ومن أشهرها مسجد كدنجلور المعروف الآن باسم (مسجد شيرمان)، ولايزال عامراً بالمصلين والزائرين ومحط أنظار الباحثين والسياح.

ومنذ ذلك الحين انتشر الإسلام سريعا في كيرالا؛ لما رأى الناس من حسن ديننا الإسلامي والأخلاق الكريمة للدعاة ، وبنيت المساجد من أقصاها إلى أقصاها، ومن أشهرها أيضا مسجد مالك بن دينار أول قاض بـ «كاسركود»، وصار يقصده يوميا مئات المسلمين وغيرهم.

وعلى مرّ الأيام أضافت(مليبار - كيرالا-) كثيرا من العلماء وأهل البيت من اليمن، فكان لهم قبول عظيم عند المسلمين، فعينوا قضاة ورؤساء، فمضى الناس في مليبار على المذهب الشافعي، فيما يتبع معظم المسلمين في الهند المذهب الحنفي ، ومع أن المسلمين يمثلون نحو ٢٦٪ من سكان هذه الولاية الصغيرة ، إلا أنهم يملكون تراثا عظيما وثقافة إسلامية غزيرة ، ولهم مكانة دينية وسياسية واقتصادية عظيمة ، شأنهم في ذلك شأن كل مسلمي الهند الذين يمثلون ثاني أكبر تعداد للمسلمين في العالم، ويعتبرون أنموذجا فريدا في التعايش السلمى مع غير المسلمين ، ويقدمون إسهامات هائلة فى تدريس الإسلام وعلومه، ويقومون بدور فاعل في المجتمع الهندي ، منذ أن بسطوا نفوذهم في شمال الهند في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي.

إبداع معماري

وتتميز المساجد الإسلامية القديمة في شبه القارة الهندية بفنها المعماري الأصيل، وبأسلوبها الراقي في البناء والمختلف عما كان سائدا في مصر وتركيا وبلاد فارس آنذاك. حيث يتكون المسجد من مجموعة مبان متلاصقة في مكان فسيح مفتوح، على عكس المساجد الهندية التي تتميز بتشكيلات بنائية وزخارف فنية مليئة بالصور الآدمية والأشكال الرمزية، ومع التواصل بين النوعين نشأ مزيج عجيب من هذين الأسلوبين في البناء، وظهرت فيما بعد مساجد ضخمة ذات إبداع معماري هندي إسلامي متفرد، لا يشبهه أي فن معماري آخر في المنطقة والعالم .

سمات مميزة وملامح أصيلة

وتمتاز واجهات ومداخل وأبواب مساجد الهند بالفخامة التي تشبه الأسوار والأبراج في ضخامتها حتى تقاوم الغزاة، وبارتفاع جدرانها وزيادة مساحتها عن غيرها من المساجد خارج الهند. أما المآذن فقد اشتهرت بشكلها المستدير العظيم الارتفاع، وهيئتها الفخمة التي تعتبر منارة القطب مثالاً لها، يصل ارتفاعها إلى ٧٢,٥ متراً وقطر قاعدتها ١٥ متراً وتتناقص مع ارتفاعها أثناء صعودها إلى أعلى لتصل إلى ثلاثة أمتار فقط عند القمة. وتشتهر المآذن بشكلها المضلع، كما أنها تشبه أعمدة متجاورة متلاصقة ولها شرفات تستخدم للمؤذن الذي يدعو للصلاة، واتخذت المآذن الأسلوب السلجوقي الذي كثر في غزنة بأفغانستان.

ومن سمات القباب بالهند أثناء حكم سلاطين أفغانستان والتيمورين كونها ذات شكل بصلي، وتعتمد طريقة القباب على الشكل الأسطواني، أو بطريقة الانتقال من الشكل المربع إلى المستدير بواسطة وضع مثلثات كروية (حنايا) في أركان المربع، ومن أعلى قمم هذه المثلثات يتكون الشكل الدائري الذي ترتكز عليه طاقية القبة البصلية، وتجاور القبة الضخمة قباباً أخرى أصغر منها أو متوسطة الحجم، وتشيد القبة الكبرى فوق محراب المسجد، كما يتضح في مبنى المركز الإسلامي في الهند بمدينة دلهي.

ومن أقدم مساجد دلهي، مسجد (قوة الإسلام)، ويقع في حرم (منار قطب) وتم تشييده بين عامي ١١٩١-١١٩٦، وقد بني طبقاً لأسلوب فن البناء الهندي الإسلامي، وهو عبارة عن مبنى مربع يتكون من قاعة كبيرة للصلاة في الجهة الغربية، ومن سلسلة من الأعمدة والأقواس، وقد أجريت فيه بعض التوسعات في عام ١٢٣٠ في عهد السلطان الطمشي، ولم يبق منه الآن إلا الهيكل الرئيسي وبعض الأعمدة والجدران مع زخارفها ونحوتها الرائعة من الآيات القرآنية وغيرها.

وفي عام ١٣١٠ شيد مسجد ضخم على مقربة من قبر الشيخ خاجة نظام الدين الداعية الإسلامي، ووتوفر به نواحي الفن المعماري الإسلامي، ويشتمل على ثلاث غرف ذات قباب عالية ومنبر مرتفع ومحراب في الجهة الغربية، ولا يزال محتفظاً بعظمته.

ويعتبر المسجد الذي بناه السلطان شير شاه في عام ١٥٤١ داخل القلعة القديمة في دلهي أفخم المساجد في الهند قبل العهد المغولي، ويمتاز هذا المسجد بجمال زخرفي ومعماري مع وقاره في هيكله العام، وقد شيد في دلهي في تلك الفترة عدد من المساجد الرائعة، ومنها (كالي مسجد) و(كهركي مسجد) وكلها ذات بوابات متعددة وقباب وأبراج كثيرة وأبواب مقوسة ومنافذ للنور والهواء، وما زالت هذه المساجد باقية وعامرة حتى الآن، وشاهدة على عظمة الحضارة الإسلامية العريقة.

أطفالنا ومشاهد الحروب

من منظور نفسي

د. محمد محمود العطار

أستاذ مساعد - جامعة الباحة

كثـــرت الحـــروب والنزاعات في عصرنـــا الحاضر، وكثرت معها الخســـائر البشـــرية والمادية التي لحقت بالشعوب جراء استخدام التقنيات الحديثة. ولكننا لو نظرنا إلى ما يترتب على هذه النزاعات من آثار ورواسب، سنرى أن ذلك لا يعتبر مقتصراً فقط على الجيوش المشـــاركة في المعركة وعلى هزيمتها العسكرية فحسب، بل إن ذلك يمتد إلى ظهور العديد من التأثيرات النفسية والاجتماعية الخطيرة التي تلحق الضرر بجيوش أخرى من نوع آخر، وهم الأطفال الأبرياء البعيدون عن ميدان المواجهة المباشـــرة. وقد تختلف هذه التأثيرات البادية عليهم باختلاف المراحل العمرية التي يمرون بها، حيث يميلـــون إلى التعبير عن الواقع المحيط بهم بتلقائية وعفوية وبشتى الطرق، ويظهرون سلوكيات غير مألوفة من قبل تنم عن وجود اضطرابات في النظام النفسي للطفل.

والأطفال هم الثروة البشـــرية للمجتمع على المدى البعيد فهم جيل المســـتقبل، ويعد الاهتمام بهم ورعايتهـــم من الضروريات الأساسية لخلق جيل منتج قادر على العطاء. فالحروب تحرم الأطفال من حقهم الطبيعي فـــي العيش بأمان، وتحرمهم من طفولتهم، كما تحرمهم من ذويهـــم وبيوتهم وتعرض حياتهم للخطر.

أرقام ووقائع لمعاناة الأطفال العرب:

إن معانـــاة الأطفال العرب كما تعكســـها الأرقام والوقائع تبين أن الآلاف قتلوا في العراق وســـوريا وفلسطين واليمن وليبيا. ووفق التقرير المشـــترك الصادر عن المنسق الإنساني للأمم المتحدة وممثل منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيســـيف) في اليمن، الصادر في يونيو ٢٠١٣م، ظهر اســـتمرار الانتهـــاكات المتمثلة في تجنيد واســـتخدام الأطفال من قبل الحوثيين، ومما جاء في التقرير أن ٥٠ طفلاً على الأقل (بينهم خمس فتيـــات) قتلوا في العام ٢٠١٢م، وتشـــوه ١٦٥ طفلاً بسبب الألغام الأرضية والذخيرة غير المتفجرة مقارنة بمقتل ٢٨ طفلاً وتشوه ٩ أطفال في العام ٢٠١١م.

ويعيش أطفال العراق حالة مـــن البؤس نظراً للحرب ولفترتها الطويلة التي عاشـــوها حيث تشـــير التقديرات إلى أن ٢٨٪ من الأطفـــال الذين تتراوح أعمارهم بين عام وخمســـة أعوام يعانون من سوء تغذية مزمن، وترتفع هذه النسبة إلى ٣٦٪ لدى الأطفال الذين يعيشون في أسر المعوزين.

أمـــا في لبنان فقد فاق عدد الأطفـــال القتلى أعداد القتلى من المحاربـــين، كما اضطر الأطفال الذين تيتموا إلى النزوح من مناطق الحرب واللجوء إلى الشارع. فكل الحروب بشعة وأكثر الناس تضرراً من بشاعتها هم الأطفال والنساء.

أطفالنا وآثار الحروب رؤية نفسية:

لقد تســـببت الحروب في قتل أعداد غير معروفة من الأطفال أو جرحت أو يتمت، ولم ير ملايين آخرون عائلاتهم أبدًا، ومثال ذلك ما يحدث في الأراضي العربية المحتلة من انتهاكات صارخة تصدر عن المحتل الإسرائيلي الصهيوني الأكثر وحشية وشراسة من النازية في تعامله مع أطفال الحجارة، أطفال فلسطين المحتلة، في كارثة اجتماعية وإنسانية خطيرة مســـكوت عنها، حيث يعيش جيل الطفولة في الأرض المحتلة محروماً من أدنى حقوقه الإنســـانية. لقد اســـتبدل العدو الصهيوني سلاســـل التعذيب بسلاســـل الأرجوحـــة وفرض على الأطفال أن يفكروا بالســـبل والوســـائل النضالية الممكنـــة والمتاحة تحت ظلم الاحتـــلال بأن تصنع منه الجيل الأكثر صلابة وتمرساً على العمل.

إن الحرب تســـبب الصدمات أو على الأقـــل تزعزع الحياة اليومية، وهي علـــى الأرجح انتهاك لحقـــوق الأطفال، والأطفـــال من أكثر الفئـــات تضرراً بالحـــروب وذلك من أوجه عديـــدة. فإغلاق المدارس والمستشفيات وإتلاف المحاصيل ينعكس سلباً على النمو السوي

للأطفال. ويجرى في الوقت الحاضر استخدام الأطفال للقتال في الحروب.

إن الغالبية العظمى من الأطفال العرب يعيشون بلا طفولة حقيقية ويشيخون قبل الأوان. فكل يوم نرى آلاف الأطفال في كل أنحاء العالم يموتون من الجوع والفقر. فنرى أيتاماً ينقصهم الأمن والدفء والحنان. كما أن كثيراً منهم يعانون من ويلات الحروب ويعيشون كلاجئين. ومنهم من هو محروم من أبسط حقوقه وهو التعليم والرعاية الصحية.

والخوف من الغد أو من المستقبل. وعدم الإحساس بالأمان. وعدم قدرة رب العائلة «الأم أو الأب» على منح حمايته. هي أحاسيس يتميز بها الأطفال الذين يعيشون أجواء الحروب فهم يدركون أن هؤلاء الكبار لا حول لهم ولا قوة. وأن قدراتهم أقل بكثير مما كانوا يعتقدون. وخاصة عندما يلمحون نظرات الذعر ودموع الخوف في عيون هؤلاء الآباء والأمهات.

وتولد هذه الأحاسيس لدى الأطفال خوفاً دائماً من الغد. وعدم القدرة على الحلم والتخطيط للمستقبل. لأن كل شيء قد يضيع في لحظة... والمثير أن هؤلاء الأطفال يرفضون بعد فترة نظرات الشفقة والحب من الآخرين. بالرغم من أنهم يفتقدون الحب والأمان والحنان. ويميلون للتشاؤم والضيق واليأس. بالإضافة إلى المشكلات الدراسية في مدارسهم. حيث نجدهم أكثر ادعاءً للمرض. ومشتتي الذهن ومشوشي الأفكار مما يؤدي إلى انخفاض مستوى تحصيلهم بشكل عام.

ويجب أن يخضع هؤلاء الأطفال لبرامج إعادة تأهيل اجتماعي وعلى القائمين على هذا البرنامج أن يتحلوا بالصبر الشديد والأناة ولا يتعجلوا النتائج. فصوت المدافع والانفجارات في ذاكرة هؤلاء الأطفال قد يغطي على صوت النصائح التي يتلقونها.

ويجد الأطفال في التلفزيون مشاهد عديدة للحروب والنزاعات المسلحة التي تتسابق بعض القنوات الفضائية إلى عرضها. إذ يشاهد الأطفال أطفالاً تقل أعمارهم عن ثماني عشرة سنة مجندين ومقاتلين في نزاعات مسلحة. على الرغم من أن ذلك محرم دولياً. إذ يبلغ عدد الأطفال المجندين في العالم اليوم مئات الآلاف. ويجد الأطفال في الجو التلفزيوني الذي تشكله الفضائيات للنزاعات المسلحة أطفالاً لاجئين مع ذويهم أو آخرين افتقدوا الأهل والأرض. إذ يزيد عدد اللاجئين من الأطفال اليوم على نصف أعداد مجمل اللاجئين في العالم. ويشاهد جمهور التلفزيون من الأطفال أقراناً لهم قتلى تُلقى أجسادهم في ساحات المعارك. وآخرين بترت أعضاؤهم بسبب المقذوفات. كما يشاهدون أطفالاً يتعرضون لظروف قاسية ومعاملة سيئة. مثلما يشاهدون أطفالاً رسم الفقر والجوع على وجوههم وأجسادهم علامات بارزة. ويشاهد جمهور الفضائيات من الأطفال أطفالاً لا يجدون لعباً غير أن يلعبوا بالألغام التي يغرسها المتنازعون في بؤر النزاع. تلك الألغام التي سرعان ما تنفجر في وجوه اللاعبين الصغار. ويشاهد جمهور الفضائيات من الأطفال مئات المشاهد العنيفة في عالم نزاعات الكبار مثلما يشاهدون الموتى الذين تتركهم الحروب ضحايا وقد انتفخت أجسادهم أو تقاطرت منها الدماء. مثلما يشاهدون أعمال العنف الأخرى والتعذيب والاعتقال والترحال.

ولا يختلف الأمر كثيراً عند الحديث عن أطفالنا المعاقين الذين يعانون من تأخر في القدرات العقلية أو السمعية أو الحركية. كونهم فئة حية تعيش نبض الواقع الذي تفرضه عليهم التغيرات السياسية المحيطة بهم بكل مفرداتها.

وهذا ما يتضح جلياً عند الحديث عن المشاعر الانفعالية والنفسية التي يمر بها الأطفال المعاقون في فلسطين في ظل سياسات القتل الجسدي والترويع النفسي المرتكبة في حق المجتمع الفلسطيني.

تكشفت هذه المظاهر السلوكية الجديدة بعد الملاحظة السلوكية اليومية لهؤلاء الأطفال سواء في مؤسسات الرعاية والتأهيل الخاصة بهم أو في البيت. وكذلك بعد تحليل الأنشطة التي يمارسونها بما فيها الرسم. وتتبع التغيرات التي طرأت على طبيعة ألعابهم. واستمزاج آراء أولياء أمورهم والمحيطين بهم حول هذه التغيرات.

وقد لوحظ وجود حالات من التبول اللاإرادي عند مجموعة من الأطفال من ذوي الإعاقات السمعية والذهنية التي لم تكن موجودة قبلاً. وقد يرتبط هذا بحالة الخوف والذعر التي أصابتهم وعدم شعورهم بالأمن. وتزداد حالة القلق والخوف هذه عند اقتراب الظلام واقترانه بالقصف الليلي وإطلاق النار. مما يبرر رفض مجموعة من الأطفال النوم بمفردهم.

وفي ذات الوقت ظهرت لدى البعض الآخر منهم عادات جديدة. مثل قضم الأظافر. التي تعتبر انعكاساً لحالة القلق التي تشغل بال الطفل. وكذلك عادة مص الأصابع التي تظهر حاجة لدى الطفل تتمثل في رغبته بالنكوص والتراجع لمرحلة عمرية سابقة كانت بالنسبة له أكثر أمناً واستقراراً.

أما حالات الانطواء والانعزال التي ظهرت عند مجموعة من ذوي الإعاقة الذهنية. فكانت مصاحبة لحالة من الشرود الذهني والسرحان واللامبالاة وعدم الاكتراث بالواقع المحيط ومحتوياته. حتى الألعاب التي اعتاد الأطفال على ممارستها ما عادت تجذب انتباههم. مما يدلل على وجود تغيير في اهتمامات الطفل. نتيجة الواقع المؤلم الذى يعيشه.

كما ظهرت الأحلام المزعجة والكوابيس عند هؤلاء الأطفال المعاقين. الذين يتحدثون عنها لأمهاتهم وأخوتهم. وغالباً ما يدور موضوعها حول المشاهد اليومية المؤثرة التي يرونها سواءً على شاشة التلفاز أم على أرض الواقع التي تتمثل بالممارسات الوحشية التي ترتكب بحق الآخرين. مما زاد تخوفهم من وصول

رصاص جيش الاحتلال الصهيوني إليهم كما وصل للعديد من الأطفال الأبرياء الذين كانوا متوجهين إلى مدارسهم، الأمر الذي يفسر ارتفاع مستوى غياب الأطفال عن مدارسهم.

وهكذا يتعرض الأطفال إلى أعمال العنف والرعب، ومن ثم ينتشر القلق في نفوس الأطفال وتزيد مخاوفهم، وعلى هذا فإن الأطفال ضحية للعنف والنزاعات المباشرة، حيث يلاقون الموت والإصابات والخوف والدمار، بسبب المشاركة في النزاعات المسلحة، وهم حين يكونون جمهوراً للتلفزيون؛ يتأثرون بما يعرض عبر شاشته على مستوى المشاعر، والتفكير، والسلوك. وقد ثبت أن برامج العنف والنزاعات المسلحة من أكثر الموضوعات تأثيراً في الطفولة.

إن أخطر آثار الحروب على الأطفال ليس ما يظهر منهم وقت الحرب، بل ما يظهر لاحقاً في جيل كامل ممن نجوا من الحرب وقد حملوا معهم مشكلات نفسية لا حصر لها تتوقف خطورتها على قدرة الأهل على مساعدة أطفالهم في تجاوز مشاهد الحرب. إن أطفال العالم العربي يتعرضون مثل كثير من أطفال العالم لتأثيرات النزاعات المسلحة بصورة مباشرة، ويتعرضون أيضاً لمشاهد الكثير من النزاعات عبر الفضائيات.

الشريعة الإسلامية وحماية حقوق الأطفال:

لقد أقرت الشريعة الإسلامية قواعد سامية لحماية الأطفال أثناء الحروب والنزاعات المسلحة، وقد أرسى الرسول صلى الله عليه وسلم أسس القتال، فلم يجز قتل الصغار والنساء والشيوخ والصبيان والمرضى وأصحاب العاهات والعجزة عن القتال والفلاحين في حرثهم والرهبان والعباد. ذلك أن الحرب في الإسلام هي ضرورة ملجئة محصورة في نطاق معين ومحدد في غاية ضيقة، وهي مقصود الجهاد. وقد وضح ذلك من حرب المسلمين في صدر الإسلام والعهود التالية، فلم يقاتل المسلمون إلا من قاتلهم.

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتال الأطفال. عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة» (أخرجه أبو داود).

وقد أجمع الفقهاء على تحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا، فإن قاتلوا، قال جماهير العلماء يُقتلون.

وعلة الجهاد في الإسلام ليست الكفر وإنما المحاربة التي لا تحقق في من لم يقاتل المسلمين. والنص القرآني «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (سورة التوبة- الآية ٥).

وقد سُئل الإمام مالك عن نساء العدو وصبيانهم يكونون على الحصون يرمون بالحجارة ويعيثون على المسلمين يقتلون؟ فقال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان بحال حتى ولو تترس أهل الحرب بهم لم يجز رميهم ولا تحريقهم. ويلاحظ أن هذا الرأي صحيح إذا كان المقصود من الترس هو الدفاع والاحتماء. أما إذا كان بغرض التحصين والهجوم ويعرف ذلك بالقرائن والإمارات فلا بد من القول بجواز قتلهم لاقتضاء المصلحة ذلك.

وقد أقرت الشريعة الإسلامية إجراءات لصالح الأطفال أثناء النزاع المسلح. فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التفريق بين الأم وولدها، فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «من فرق بين أم وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» (رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترمذي).

وإذا كانت قواعد القانون الدولي الإنساني لا تجيز تجنيد الأطفال في القوات المسلحة قبل بلوغ الخامسة عشرة، فإن الإسلام لا يوجب الجهاد على الصبي لضعف بنيته ولذلك (فقد رد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن عازر وغيره يوم بدر ممن لم يبلغوا خمس عشرة سنة). وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنه، قال، (عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني في المقاتلة).

إن الإسلام يحرم قتل من لا يشتركون في الحروب والنزاعات المسلحة ويحافظ على الأسرة ويحرص على حقوق المدنيين، وهي نفس الحقوق التي أقرها القانون الدولي الإنساني.

خاتمة:

إن ما يحدث للأطفال في ظل الحروب يضع الضمير الإنساني وجهاً لوجه أمام مسؤوليته الأخلاقية... فكيف يقبل الضمير الإنساني القذائف التي تنهمر في عشوائية على المدنيين العزل لتحصد أرواح الأبرياء وتدفن تحت الأنقاض عشرات الجثث لأطفال ونساء وشيوخ، وهناك مجموعة من التوصيات منها ما يلي:

- العمل على تشجيع الدول على إبرام المعاهدات التي تضمن حماية حقوق الأطفال.
- العمل على تفعيل دور المنظمات الدولية والإقليمية المعنية بحماية الأطفال في الحروب.
- العمل على سن القوانين التي تمنع انخراط الأطفال في الجيوش.
- العمل على ضمان توفير التعليم بالنسبة للأطفال في ظل الحروب وللأطفال اللاجئين كضمان لمستقبلهم واندماجهم في المجتمع.
- ضرورة توفير الرعاية الصحية للأطفال المتأثرين بالنزاعات المسلحة.
- العمل على اشتراك الأطفال في عمليات المصالحة وبناء السلام ونبذ الحروب.

حتى يكون الشباب طاقة بناء لا قوة هدم

إعداد: إبراهيم المهدي

حـــذر تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ٢٠١٦، من تحول طاقة الشـــباب العربي من طاقة هائلة للبناء إلى قوة كاسحة للهدم. ووصف التقرير جيل شباب اليوم بأنهم أكثر تعليماً ونشاطاً وارتباطاً بالعالم الخارجي، ما ينعكس على مستوى وعيهم بواقعهم وتطلعاتهم لمستقبل أفضل، إلا أنّ وعي الشباب بقدراتهم وحقوقهم يصطدم بواقع يُهمّشهم ويَسدّ في أوجُههم قنوات التعبير عن الرأي، والمشاركة الفاعلة، وكسْـــب العيش؛ ما قد يتســـبَّب في دفعهم إلى التحول من طاقة بناء وإعمار إلى قوة هدم ودمار.

وقـــدم التقرير الـــذي حمل عنوان «الشـــباب وآفـــاق التنمية الإنســـانية في واقع متغير» نموذجًا جديدًا للتنمية يعمل على تمكين الشباب من خلال تعزيز قدراتهم وإتاحة الفرص أمامهم لتحقيق الـــذات، وخاصة في المجالَين الاقتصـــادي والاجتماعي؛ علاوة على العمل على تحقيق السلام والأمن.

وأشـــار التقرير إلـــى أن أحـــداث ٢٠١١ وما تلاهـــا «أثبتت قدرة الشـــباب على المبادرة بالفعل وعلى تحفيـــز التغيير، وأثبتت أنَّ حصر الاستجابة لمطالب التغيير بالتعامل الأمني دون التصدي لمعالجة أسبابها يُحقِّق اســـتقراراً مؤقتاً يؤجِّل دورات الاحتجاج لكنّه لا يُقلِّل من فرص مبادرات أخرى للشباب.

عرضنا تقرير الأمم المتحدة على عدد من العلماء والخبراء للتعليق والمناقشة، فكانت إجاباتهم على النحو التالي:

يقول الأســـتاذ الزبير مهـــداد من المملكة المغربيـــة إن التقرير يقدم حجتين للاســـتثمار في الشـــباب: الأولـــى، أن نحو ثلث سكان المنطقة هم شباب في أعمار ١٥ -٢٩ سنة، وهناك ثلث آخر يقل عمرهم عن ١٥ عاماً، ما يضمن اســـتمرار هذا الزخم السكاني إلى العقدَين المقبلين، ويُوفِّر فرصةً يتحتّم اغتنامُها. والحجـــة الثانية: هي أن موجةَ الاحتجاجات التي اجتاحت عدداً من البلدان العربية منذ عام ٢٠١١، وكان الشباب في طليعتها، أفضت إلى تحولاتٍ كبيرة عبر المنطقة كلها، وتمكين الشـــباب وإشـــراكهم في هذا المنعطف المهم من تاريخ المنطقة أمران حيويان لوضع أســـسٍ جديدة وأكثر استدامةً للاستقرار. فهذه

الكتلة السكانية من شباب في أهم سنوات القدرة على العمل والعطاء تكون طاقة قادرة على دفع عجلة التقدم الاقتصادي والاجتماعي إذا أتيحت لها الفرصة. فالشباب في المنطقة العربية هم مورد مهم لحل مشاكل التنمية. ويضيف التقرير أن «الخطر لهؤلاء الشباب أنهم يعانون الإحباط والشعور بالعجز والاغتراب والتبعية بدلا من استكشاف الفرص المتاحة واستشراف آفاق المستقبل». وذلك ما يدفعهم إلى أن يتخذوا مسارًا يهدد الاستقرار الاجتماعي.

ويتساءل الأستاذ مهداد: كيف نستطيع تمكين الشباب من أداء دوره المطلوب في المجتمع؟

وفي رأيه أن العناية بالشباب تؤدي إلى الحل الجذري لأنواع كثيرة من المشاكل التي يعانيها المجتمع، وتمكينه يسهم في توفير سبل العيش الكريم للمجتمع كله، لأنه يضمن استقراره الذي يعد شرطًا ضروريًا للتنمية.

تكوين الشباب أول شروط التمكين:

ويستطرد الأستاذ زبير مهداد: التمكين وجه من أوجه التنمية، لأنه يزيد من فرص الفرد في الحصول على أفضل نصيب من نتائج عملية التنمية المستدامة. والتمكين يمر عبر قناة التكوين الذي يجعل الشبان متفهمين لوضعهم مسيطرين عليه، وقادرين على تنظيم أنفسهم للتمتع بحقوقهم وأداء واجباتهم وتبوء مكانتهم في المجتمع. والأمر يتطلب إيلاء الشباب قدرًا من التركيز والرعاية، من خلال برامج مترابطة ومشروعات متكاملة من خلال التأهيل والتدريب والرعاية الطبية والتعليم، ووضع سياسة لتقديم المنح والقروض الميسرة، وتشجيع المشاريع الصغيرة من أجل الاعتماد على الذات.

فنجاح الخطة مرهون بشموليتها وتكامل أبعادها التعليمية والسياسية والاقتصادية. فالتعليم يرفع قدرات الشباب، والسياسة تدمجه، والاقتصاد يتيح له إنتاج الثروة. وكل نظرة تجزيئية سوف تؤدي إلى استمرار الآفات الاجتماعية العويصة: الجهل، والإقصاء والفقر.

وعلى الرغم من انتشار شعار تمكين الشباب، وزيادة الاهتمام به، فإن عملية التكوين شرط لازم من شروط التمكين، ونعني بالتكوين خطوات تمكن من تحقيق أقصى الإمكانيات، ومن أهمها:

١. التكوين الأكاديمي الملائم للحاجات الاقتصادية وميول الشباب، مع العناية بالجوانب الإنسانية والوجدانية، والتدريب على المهارات المهنية.

٢. تعزيز القدرات السياسية، من خلال ترسيخ قيم المواطنة منذ المدرسة الابتدائية، والتكوين القانوني وتعليم حقوق الإنسان في السلك الثانوي، وإقامة المعسكرات الشبابية والطلابية التي تعد حقلا مهماً للتربية على المسؤولية والانضباط.

٣. تقوية المهارات التفاوضية والقيادية بالتدريب على المهارات التواصلية، والإبداع والابتكار، والإشراك في المناظرات التي تسهم في تعزيز قدرات الشباب على الحوار وتقبل الاختلاف، والانفتاح على وجهات النظر المخالفة واحترامها.

بعد تكوين الشباب التكوين الملائم، تنفتح أمامه تلقائيًا أبواب التمكين السياسي والاقتصادي. ومفاتيح هذا التمكين السياسي هي: تعزيز الممارسة الديمقراطية داخل الأحزاب، وتعزيز الوعي السياسي للشباب، من خلال برامج تثقيف تمكنهم من فهم القضايا السياسية الكبرى لبلدانهم، وتدريب الشباب على قوانين العمل السياسي وضوابطه القانونية والأخلاقية، لإعداده لممارسة مهامه في حال انتخابه لتدبير الشأن المحلي أو الوطني من خلال مجالس البلديات أو البرلمان أو غيرهما. والمفتاح الثالث هو الرفع من نسبة تمثيلهم بما لا يقل عن ١٠ أو ٢٠٪ أو أكثر في المجالس النيابية.

أما التمكين الاقتصادي فيتمثل في التشجيع على المبادرة الاقتصادية، وتبسيط الإجراءات الإدارية، ودعم مشروعاتهم الصغيرة والمتوسطة، وتوفير قروض مالية بشروط مشجعة لدعم وتطوير مشروعاتهم. ويمكن الاستفادة من تجارب عدد من الدول التي حققت نتائج باهرة في المجال، مثل الصين واليابان وسنغافورة وكوريا الجنوبية، ففي كوريا الجنوبية مثلا تشكل المشروعات الصغيرة والمتوسطة عمادا قويا لاقتصادها، وتبلغ نسبتها ٩٩,٨٪ من المجموع الكلي للمشاريع العاملة، وتستقطب أزيد من عشرة ملايين عامل، وكل سنة تنظم الحكومة الكورية منافسة لاختيار ألف مشروع واعد لينال دعمها وتشجيعها، مما أدى إلى الارتقاء بالمشاريع وتحقيق الجودة في أعمالها. وانعكس أثره بوضوح على النمو السريع لكوريا وتحقيق رخائها.

الدولة القطرية ضيَّقت طاقات الشباب:

الأستاذ زرياب الصديق - الكاتب المتعاون مع مجلة الرابطة والمقيم في مدينة الرياض - وهو من الشباب الناشط في العمل الاجتماعي يتفق مع ما خلص إليه التقرير وما أوصى به، ويزيد:

شباب اليوم ليسوا طاقة متأججة فحسب، بل وأكثر إطلاعاً

على العالم واستشرافًا للمستقبل بما تيسر لهم من علوم وسّعت مداركهم، وتقنيات انتقال واتصال قرّبتهم من بعضهم بعضاً رغم اختلاف العقائد والثقافات، فتشاركوا هم المستقبل في ظل واقع يضيق بأحلامهم وطاقاتهم ومهاراتهم.

وأخيراً ضاق الخناق على شباب العالم النامي، بنزوع العالم للقطرية المتطرفة التي تعاكس مبدأ التشارك الإنساني للموارد والمنجزات الحضارية باعتبارها ملكًا بشريًا عامًا ساهم فيه كل الأسلاف بتراكم الدورات الحضارية وتبادل مواقع القيادة، فالغرب الذي يفرون إليه مهاجرين رغبة في العيش الكريم، أوقف استقبالهم مع امتناعه أن يكون مساعدًا في استقرار بلدانهم، والاتجاه نفسه بدأت تتبعه بعض الدول المستقرة باستحياء. وهذا الوضع سينتج مواجهة حتمية بين نظام عالمي أناني وفرداني وطاقات شبابية شديدة الاتصال ببعضها وحلم بعالم متعاون يتشارك المنجزات الحضارية.

ومضى الأستاذ زرياب في القول: إن هيكل الدولة القطرية الذي يحكم العالم اليوم غير قادر على استيعاب التغيّرات التي تستجد وتتسارع في المجتمعات، من هجرات حرّكت سبات الهويات الوطنية، ونمو سكاني عظّم ندرة الموارد، وتقدم تكنولوجي قلل من الحاجة للأيدي العاملة، ومواعين حكومية «بيروقراطية» وضيّقة لا تستوعب طاقات الشباب وحماسهم.

وردًا على هذا الواقع وضع الشباب العربي نفسه في قيادة عربة التغيير مللاً من طول انتظار قطار الإصلاح، وذلك في أحداث عام ٢٠١١م وما بعدها. ولئن كانت مطالب الهبّة الأولى عدلية واجتماعية ففي الكرة الثانية ستكبر الأجندة مناداةً بالتغيير الشامل: اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا، أو بتعبير آخر: تبديل كل ما تسبب في إنتاج الواقع الذي ضاق بهم، وبعنف أشد.

ويقترح الأستاذ زرياب لاستدراك هذا الانفجار الشبابي القادم وتصحيح المسار بعض الخطوات الضرورية، وهي:

إعادة النظر في هيكل الدولة القطرية وعقيدتها ووظائفها، بما يعزز اتصال الشعوب وتشاركها الخبرات والخيرات والأزمات، وتقييد مهام أجهزة الدولة في التخطيط والتوجيه والتأمين، وما دون ذلك يترك لمنظمات المجتمع المدني وللشباب.

وأن تتفسّح كل القطاعات فتستوعب الشباب، ولو كان على حساب بعض السابقين في العمر والدربة والفضل: «يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير).

ولتوظيف المهن والمهارات العصرية التي يمتاز بها الشباب، التي لا مكان لها في الدواوين الحكومية، يتوجب ابتدار مشاريع عملاقة وشغلها بهم، كالمدن الصناعية، ومنصات الابتكار، ومشاريع الحكومات الإلكترونية والحكومات الذكية وغيرها، علاوة على دعم المشروعات والمبادرات الصغيرة، على نحو ما فعلت قمة الحكومات أخيرًا في أبوظبي.

وبالنسبة للعالم الإسلامي فإن تمكين الشباب اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا لا يكفي وحده، ذلك أن كثرة الثقافات الواردة والتطور العلمي أنشأ في أذهانهم حوارًا نقديًا للإسلام الذي ورثوه، ما يستلزم إعادة عرض الإسلام عليهم بلغة عصرهم العلمية والمنطقية، خشية أن يتمثلوا - جزئيًا أو كليًا - إسلامًا مدخولاً بالعقائد البشرية التي تقود التقدم العلمي اليوم وتصبغه، وذلك لجعل الهوية الإسلامية إطارًا لا يخرجون عنه عند ارتقائهم لموقع الفعل بالتمكين المدروس أو عند فرضهم للبديل بالقوة.

الشباب والإقصاء: حاجة إلى الاستدراك والتغيير

ويقول الدكتور محمد الصادقي العماري الأكاديمي والباحث في الجامعات المغربية: «تعتبر فئة الشباب في أي مجتمع عماد وأساس التنمية والبناء، لذلك كان الاهتمام بها وعدم إقصائها من أولى الأولويات في المجتمعات والدول التي قطعت أشواطا مهمة في التنمية والتقدم على كل المستويات، ولا نقول إن وضع الشباب في هذه الدول التي تنعت بالمتقدمة هو القدوة لنا، أو هو النموذج الذي ينبغي أن يحتذى، إلا أن وضع الشباب داخلها أفضل منا بكثير، حيث ننعت بالتخلف مقارنة معها، كل التقارير الداخلية والدولية تقول ذلك وتؤكده كل سنة، ومنها هذا التقرير الذي نحن بصدد التعليق عليه.

ونؤكد هنا على المدخل السياسي، وهو ما عبر عنه التقرير، عندما أشار إلى المخاطر التي تواجه الشباب بـ «عنف الجسم

السياسي وهشاشته»، لأنه في اعتقادنا هو المسؤول الأول عن وضع الشباب في بلداننا العربية والإسلامية، فلو وجدت الإرادة السياسية الحقيقية لتجاوزنا كثيراً من الأزمات المرتبطة بالشباب، وذلك ببناء دولة المؤسسات، دولة الحق والقانون، دولة إقرار الحريات، دولة الاحتكام إلى الدساتير والقوانين والتشريعات المصادق عليها، بعيدا عن أساليب التلاعب بطاقات الأمة، ومواردها البشرية والطبيعية، أو استغلالها لصالح شخص، أو فئة من المواطنين على حساب الآخرين.

وقد أدى تراجع الوضع الشبابي في بلادنا، إلى هجرة الشباب إلى الضفة الأخرى، يهاجر الشباب لضيق الأفق الاقتصادي والحقوقي في بلاده، تهاجر الأدمغة ليستفيد منها الآخر، لأن سوق الشغل يحتكره أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة، وانعدام الإنصاف والمساواة، وعدم اعتبار الكفاءة المعيار الوحيد لتقلد المهام والوظائف، والحق في التعليم، بل الحق في الحياة الكريمة، حيث نجد مناطق مهمشة لا تستفيد من حقها في البنية التحتية، ولا المؤسسات والمنشآت الحيوية، ولا الماء والكهرباء. يقول التقرير (والشباب العربي المترعرع في هذه المناطق الفقيرة يتعرض بازدياد إلى الإقصاء الاجتماعي والعنف والفقر وهو ما يؤجج التوتر، تهاجر الطاقات والكفاءات السياسية، ليستفيد منها الآخر، لأن الأفق الحقوقي والسياسي في بلداننا -للأسف-، لا يقبل وجهات النظر السياسية المختلفة.

ويدعو الدكتور الصادقي إلى (تشبيب) القطاعات الحيوية في الدولة التي يحتكر قيادتها المتقدمون في أعمارهم، بما فيها المؤسسات الحزبية والنقابية، في حين أن المفروض هو عدم إقصاء الشباب والكفاءات الواعدة، فإنهم -الشباب- كما يقول التقرير «احتلوا المقدمة في الانتفاضات العربية لأنهم يشعرون بقدر أقل من الرضا، كما أنهم أكثر قلقا بشأن القضايا الاقتصادية من هم أكبر سنا».

إن لم نتدارك الوضع، والوفاء بما تم التعاهد عليه مع الشباب الذين خرجوا إلى الشوارع في الحراك العربي الأخير، تعبيرا منهم عن رفض الإقصاء، يقول التقرير «فلسوف يرث الشباب العرب مجتمعات راكدة أو عنيفة أو على نحو آخر فاشلة، مجتمعات راكدة عنيفة فاشلة، عبارات معبرة عن واقعنا العربي».

وفي الختام يشير الدكتور الصادقي إلى أن الاستدراك والتغيير المطلوبين للوضع العربي يقومان عن معلمين كبيرين:

- الإصلاح السياسي وبناء دولة المؤسسات لنتجاوز حالة «إقصاء الشباب» وتجاوز ذهنية «قمع الاختلاف والتعبير عن الرأي باستقلالية» كما يعبر التقرير.
- إصلاح التعليم لأنه المدخل الأول لأي إصلاح، ويصف التقرير وضعية التعليم في بلداننا بأنها «رديئة».

ويختم الدكتور بقوله: في الحقيقة التقرير فيه تفاصيل كثيرة، ومواضيع متنوعة، استفدت من تصفحه، ومتابعة بعض تفاصيله، الأمر في الحقيقة يحتاج إلى قراءة وصفية لما جاء به، ومناقشة قضاياه، لكن حسبي ما طُلب مني، وهو تعليق أو استطلاع رأي.

مبادرات حكومية للشباب:

ولا شك أن موضوع الشباب العربي يستأثر باهتمام الحكومات، فقد ركزت عليه «القمة العالمية للحكومات» التي انعقدت في مدينة دبي خلال جمادى الأولى ١٤٣٨هـ، وصدرت عنها استراتيجية موجهة للشباب العربي في ختام أعمالها، واشتملت الاستراتيجية على مبادرات، منها تأسيس مركز للشباب العربي، وإنشاء ملتقى سنوي للشباب، ووضع الحلول لتحدياتهم، فيما تتمثل المبادرة الثالثة في تشكيل منصة فرص للشباب، تجمع جميع الفرص المتاحة للاستفادة منها واستغلالها، أما المبادرة الرابعة، فتتمثل في إصدار تقرير سنوي للشباب العربي يجيب عن التساؤلات السنوية حول الشباب، ويعرض تطلعاتهم وأحلامهم وبيانات تخصهم لدعم صناعة القرار، فيما تتمثل المبادرة الخامسة في تشكيل بعثات تعليمية للشباب العربي، بحيث يجري تكريم المتميزين بمنح للالتحاق بالجامعات، وإكمال الدراسات العليا، حول العالم. وتتضمن المبادرة السادسة إنشاء حلقات حوارية تتفاعل مع الشباب، وتتيح لهم الفرصة للتعبير عن آرائهم وانطباعاتهم، والمشاركة الجماعية في التأثير الإيجابي. أما المبادرة السابعة، فهي منصة للمشاركة الجماعية، واستغلال طاقات الشباب في العمل على مختلف المشاريع التنموية في الوطن العربي.

وقال الشيخ منصور بن زايد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير شؤون الرئاسة في أبوظبي: «إن الشباب العربي أفضل من يحقق رؤيتهم واستراتيجيتهم، والأمل فيهم كبير، والثقة بطاقاتهم لا حدود لها»، وأضاف أن «الشباب هم الفئة الأكبر في المجتمعات العربية، وهذه الطاقة تجعل إيماننا بالمستقبل راسخًا كرسوخ إيماننا بما يملكونه من مواهب وعلوم وكفاءات».

وجرى تحديد خمس أولويات لهذه الاستراتيجية، تتمثل في أن ينعم الشباب العربي بحياة صحية وآمنة، وينافس بتعليمه، وينشر المعرفة، ويلتزم بالريادة، ويتقن عمله، ويتبنى نهج العطاء والعمل التطوعي، ويفخر بهويته وثقافته العربية. كما تم الإعلان عن نموذج عمل يتكون من ٦ مكونات، هي التفاعل والإلهام والتمكين والتشارك والإنجاز والاحتفاء بالشباب العربي.

حول بيان الإشادة بمشروع القانون الكندي

بقلم: د. عثمان أبوزيد

إشادة لافتة من رابطة العالم الإسلامي بالموقف الكندي من «الإسلاموفوبيا». وإجازة مجلس العموم مشروع قانون يمهد الطريق أمام إجراءات مستقبلية من أجل محاربة ظاهرة العداء للإسلام.

اشتمل بيان رابطة العالم الإسلامي على معانٍ مهمة أبرزها:

١. مشروع القانون الكندي يأتي في سياق الوعي بمخاطر الكراهية الدينية على السلوك الحضاريّ السوي، والسلم المجتمعي.

٢. إبراز الوجه الحقيقي للإسلام وتأكيد ما ينطوي عليه من قيم إيجابية؛ فلا تكون مناطقُ الاختلاف الديني والسياسي والثقافي والفكري، ولا أخطاءُ التشخيص، سببًا للأحقاد والكراهية، التي تُعتَبر المغذِّي للتطرف والإرهاب.

٣. تفويت الفرصة على التطرف الإرهابي المحسوب اسمًا على الإسلام، باعتباره أكثر المستفيدين من تنامي ظاهرة «الإسلاموفوبيا» للتأكيد على نظرياته الباطلة التي راهن بها على العاطفة الدينية والتي استفزتها الكراهية المتمثلة في نتائج الإسلاموفوبيا.

٤. حث باقي الدول بأن تحذو حذو مجلس العموم الكندي لتحجيم ظاهرة «الإسلاموفوبيا» وتجاوز انعكاساتها السلبية.

٥. دعوة المسلمين بأن يتعايشوا مع مجتمعاتهم في البلاد غير الإسلامية باندماج إيجابي، محترمين دساتير وقوانين وثقافة الدول التي يحملون جنسيتها أو يقيمون فيها.

إن ما يشير إليه البيان بـ «سياق الوعي بمخاطر الكراهية الدينية» ظاهر بوضوح في المجتمع الكندي، الذي يقوم على نموذج (الفسيفساء) والذي يفسح للمهاجرين احتفاظهم بثقافاتهم ولغاتهم. هذا النموذج هو نقيض النموذج الأمريكي، الذي يطلق عليه في اللغة الإنجليزية (THE MELTING POT) ، أي الانصهار في بوتقة واحدة، تسمح الشرطة في كندا دون سواها، لعناصرها من النساء بارتداء الحجاب، تشجيعًا للمسلمات على الانخراط في صفوفها، بل إن مجموعة من النساء الكنديات ارتدين الحجاب مدة شهر كامل تعاطفًا مع النساء المسلمات وتنديدًا بالإسلاموفوبيا. وفي مقاطعة أونتاريو بكندا أتاحت الشرطة خدمة الإبلاغ عن جرائم الكراهية عبر شبكة الانترنت، ويجوز لكل أفراد الجالية المسلمة الذين قد يتعرضون إلى جريمة كراهية تقديم بلاغ عبر تلك الخدمة. أما في حال وجود خطر فوري فتنصح شرطة أونتاريو الاتصال برقم الطوارئ فورًا.

وإذا كان المجتمع الكندي هو النموذج المأمول لحالة التفاعل الإيجابي في الغرب، فإن الخطاب الحكيم لرابطة العالم الإسلامي؛ نموذجٌ للاعتدال الفكري والشرعي، لأنه تعبير عن المنظور الإسلامي وما ينطوي عليه من روح التعايش والتفاعل الآمن وإرادة الخير للجميع. وفي هذا المنظور تتمثل صورة المسلم الحقيقية؛ نموذجًا أخلاقيًا في صناعة الحياة لا باعثًا للرهبة والخوف والتوجس.

وفي بيان الرابطة التفاتٌ ذكي لنموذج المجتمع الكندي الذي خلت فيه معدلات العنف المنسوب للمسلمين، فشتان بينه وبين مجتمعات عمدت إلى إقصاء المسلمين، بل استغلت مشاعر العداء والكراهية لاستصدار قوانين ضدهم، فضلاً عن الإجراءات الأمنية المتشددة التي تبنتها العديد من الدول الأوروبية، وشملت توسيع سلطة المراقبة والتفتيش ومنح أجهزة الأمن والمخابرات صلاحيات واسعة تهدد السلم الاجتماعي وتدمر الأسس الفكرية للديمقراطية الغربية.

لقد توجه خطاب الرابطة إلى الطرفين: الطرف الممارس للإسلاموفوبيا، والطرف المكتوي بنارها، ودعتهما جميعًا إلى الكف عن ثقافة العنف والنزاع المدمر، واستبدالها بثقافة تعلي الوعي الحضاري بما عند الآخر.

أليس ذلك ما تعبر عنه دروس السيرة النبوية المطهرة؟

أقبلَ يهوديٌّ على الرسول صلى الله عليه وسلم وعنده له دَينٌ، فأخذَ يَجُرُّ رداءَ المصطفى - صلى الله عليه وسلم - حتى احمَرَّ عُنقُه الشريفُ، فقال: «أدِّني دَيني الذي عِندَك فما عُرِفتُم يا بني هاشمَ إلا مطلاً»، أي: تُماطِلونَ الناسَ في حُقوقِهم، فهو مع ذلك اعتدى عليه وسبَّه، ومَوعِدُ الدَّينِ لم يحلّ بعدُ، فقام سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: ائذن لي أن أضربَ عنقَه يا رسولَ الله، فقال: ((كنتُ أنا وهو أحوجَ إلى غيرِ هذا منك؛ مُرهُ بِحُسنِ الطلبِ، ومُرني بِحُسنِ القضاء، واعلم أنَّ موعِدَ الدَّينِ لم يحل وبَقِيَ منه ثلاثةُ أيامٍ، فقم يا عمر واقضِه حقَّه وزِدهُ عشرين مَكانَ ما رَوَّعتَهُ)). فأخَذَه وزادَه عشرين، قال: يا عمر، إني ما فعلتُ ذلك إلا أنِّي قرأتُ وَصفَ رسولِ الله في التوراةِ فوجدتُ جميعَ الأوصافِ فيه إلا وصفَين: الحِلم، وأنه لا تزيدُه شِدَّةُ الجهلِ عليه إلا حلمًا، وقد خبرتُهُما فيه اليوم، فأنا أُسلم وهذا المالُ صدقة للمسلمين، فجاءَ إلى النبي وقال: امدُد يدَك فأنا أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنكَ رسولُ الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. (حديث حسن، رواه الحاكم في المستدرك).

الجامع الكبير - باريس